جامعة النّجاح الوطنيّة
كلّيّة الدّراسات العليا

الغُرابُ في الشِّعر الجاهليِّ

إعداد
علي عبد العزيز علي أبو سنينة

إشراف
أ. د. إحسان الديك

قُدِّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها في كليّة الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، فلسطين.
2012م

الغُراب في الشِّعر الجاهليِّ

إعداد

علي عبد العزيز علي أبو سنينة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2012/5/13م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. أ. د. إحسان الديك / مشرفاً ورئيساً	....
2. د. جمال غيظان / ممتحناً خارجياً	....
3. أ. د. عادل أبو عمشة / ممتحناً داخلياً	....

الإهداء

إلى والدي الذي غرس في قلبي حبّ العلم منذ صغري، والذي علمني كيف يكون البذل والعطاء، ، إلى والدتي الحنون التي كانت دائما إلى جانبي.

إلى توأم روحي، التي احتوت تعبي وقلقي بدفء وحنان، زوجتي الغالية، التي وقفت إلى جانبي في كل الأوقات، ولم تدّخر جهدًا في مساعدتي.

إلى فلذات كبدي أبنائي أحبابي " راما وعبد العزيز وعمرو"

إلى كل من شجّعني ووقف إلى جانبي ودعمني من أخوتي وزملائي وزميلاتي، في مشواري الدراسي.

الشكر والتقدير

أحمد الله رب العالمين على توفيقه لي،بأنّ منّ عليّ بإنهاء هذا العمل، وبعد شكر الله وحمده، أتوجّه بالشكر والتقدير والعرفان للأستاذ الدكتور إحسان الديك الذي شملني برعايته وأمدّني من بحر علمه، فقد تولاّني بصادق رعايته، وسعة صدره، وجاد عليّ بوقته وجهده، جزاه الله عنّا وعن طلبة العلم خير الجزاء.

وأتقدم كذلك بالشكر والعرفان للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، فلهم مني جزيل الشكر والتقدير والعرفان.

وأشكر كل من وقف إلى جانبي وساعدني، وقدّم لي يد العون فجزاهم الله عني خير الجزاء.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الغراب في الشِّعر الجاهليِّ

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـا تمـت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية، أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: | **اسم الطالب:**

Signature: | **التوقيع:**

Date: | **التاريخ:**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ح
المقدمة	**1**
التمهيد	**4**
الفصل الأول: الغراب في الموروث الإنساني	**10**
المبحث الأول: الغراب في الفكر الإنساني القديم	11
المبحث الثاني: الغراب في الفكر العربي القديم	26
الفصل الثاني: مواضع ورود الغراب في الشعر الجاهليّ	**39**
المبحث الأول: الغراب والفراق	40
المبحث الثاني: الغراب والزجر والعيافة والطيرة والتطيّر	52
المبحث الثالث: الغراب وأكل الجيفة	61
المبحث الرابع: الغراب في مواضع مختلفة	64
الفصل الثالث: صورة الغراب في الشعر الجاهليّ	**73**
مدخل: الصورة الفنية	74
المبحث الأول: الغراب وأثره في تشكيل عناصر الصورة في الشعر الجاهلي	76
1. اللون	76
2. الصوت	82
3. الحركة	86
المبحث الثاني: أبعاد صورة الغراب ودلالاتها في الشعر الجاهلي	92
1. البعد الديني (الميثولوجي)	93
2. البعد النفسي	100
3. البعد الاجتماعي	105
الخاتمة	**110**
قائمة المصادر والمراجع	**112**
Abstract	**b**

الغراب في الشعر الجاهلي

إعداد

علي عبد العزيز علي أبو سنينة

إشراف

أ. د. إحسان الديك

الملخص

يدور هذا البحث حول الغراب في الشعر الجاهلي، وتكمن أهمية هذا الموضوع، في أنّه يكشف عن جوانب من الفكر الجاهلي، الذي يُعدّ جزءًا من فكر الإنسان القديم، والبحث مقسّم إلى مقدمة و تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

تحدّثت في المقدمة عن أسباب اختياري لهذه الدراسة، والهدف الذي رميت إليه من خلالها، وفي التمهيد ذكرت أسماء الغراب، وسبب كل تسمية، وذكرت بعض صفاته الحياتية،وجعلت الفصل الأول في مبحثين، عرضت في المبحث الأول موضوع الغراب في الفكر الإنساني القديم،وما حظي به هذا الطائر من مكانة عند السومريين والبابليين والساميين والصينيين واليونانيين والرومانيين،فوجدتهم نظروا إليه نظرة تقديس، فهو مساعد للإله في عملية الخلق، منبئ بالعواصف يخبر بمجيء المطر،أما اليهود فعدّوه طائرًا نجسًا، أما المبحث الثاني فعرضت فيه موضوع الغراب في الفكر العربي القديم، حيث كانت نظرة العرب إليه نظرة تشاؤمية سوداوية.

وفي الفصل الثاني وقفت على مواضع ورود الغراب في الشعر الجاهلي، إذ قسمته إلى أربعة مباحث، عرضت في الأول منها الغراب والفراق، إذ كان رمزًا للفراق عند معظم شعراء الجاهلية، وبحثتُ في المبحث الثاني موضوع الغراب والزجر والعيافة والطيرة والتطيّر، لأنّه كان من أهم الطيور التي دخلت في هذا الباب، وفي المبحث الثالث تطرقت إلى صفة من صفات الغراب وهي أكْله الجيف، إذ وظّف بعض الشعراء هذه الصفة في أشعارهم، وفي المبحث الأخير بحثت في ورود الغراب في مواضع مختلفة كالهجاء واللون والشيب وغيرها.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان صورة الغراب في الشعر الجاهلي، وقد جاء في مبحثين: الأول بعنوان الغراب وأثره في تشكيل عناصر الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، حيث بحثت فيه عنصر اللون، وعنصر الصوت وعنصر الحركة،أما المبحث الثاني فكان بعنوان، أبعاد صورة الغراب في الشعر الجاهلي، وهي البعد الديني، والبعد النفسي، حيث كان لصورة الغراب دور بارز في التأثير على نفسية الشاعر الجاهلي،وأخيرًا تطرقت إلى البعد الاجتماعي.

وانتهى البحث بتوفيق الله تعالى بخاتمة تلقي الضوء على أبرز ما فيه، وتلخص أهم النتائج التي وصل إليها الباحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين وبعد:

على الرغم من تباعد العصور بيننا وبين العصر الجاهلي، وعلى الرغم من تلك القرون التي لم تزدْ على خمسة عشر قرناً هجريًا لا يزال الشعر الجاهلي خالدًا في أعماقنا[1]، محفورًا في وجداننا نستشهد به في لغتنا، فيُعدُّ الشعر الجاهلي مصدرًا من مصادر الثقافة العربية الإسلامية، بل هو المصدر الأول، حسب الظهور والتاريخ ومن هنا نبعت قيمته التاريخية والتوثيقية والعلمية [2].

فالشعر الجاهلي جدير بالدراسة، فأرى كثيرًا من الشعراء حاكَوْه، وبذل الباحثون جهداً كبيرًا في دراسته، لأنه سجل العرب وديوان أمجادهم، و يوضح لنا تراثهم ومعتقداتهم، لذا قررت أن أوجه طاقاتي وكل جهودي لدراسة هذا الشعر، فكان اختيار موضوع هذا البحث أول خطوة على طريق دراسة الشعر الجاهلي.

وشعر الحيوان من أجمل الشعر العربي القديم وأمتعه، إذ يطلعنا على عادات المخلوقات وطبائعها من حولنا، ويكشف أسرارها وخباياها [3]، وكان للطير في مخيال الشاعر الجاهلي حضور كبير، لذا قررت أن تكون دراستي حول طير من الطيور التي تركّز حولها بعض من الشعر الجاهلي، فكانت بعنوان "**الغراب في الشعر الجاهلي**"، إذ للغراب أساطيره وقصصه، فلا يزال الدرس الذي ألقاه على قابيل (كي يحفر حفرة يدفن فيها أخاه القتيل) ماثلاً شاخصًا في الأهرام والقبور والشواهد والأقبية والسراديب[4]. وهو الذي دلّ عبد المطلب على مكان بئر زمزم، وليس مستبعداً أن يكون العرب القدماء قد قدّسوه، وكان الغراب في كثير من أشعارهم رمزاً للتشاؤم.

---

(1) ينظر:خليف،يوسف: **دراسات في الأدب الجاهلي**، دار غريب للطباعة النشر والتوزيع،القاهرة، 1981،ص3،(د، ط).

(2) ينظر:مسكين،حسن،**الخطاب الشعري الجاهلي، رؤية جديدة**، ط1،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب،،ص7.

(3) ينظر:النوتي، زكريا عبد المجيد، **الذئب في الأدب القديم**، ط1، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004. المقدمة ص أ.

(4) ينظر: مستجاب، محمد، **نبش الغراب المجموعة الثانية**، ط1، وزارة الإعلام، الكويت، 2006.ص17.

فالغراب هذا الحيوان الذي كان له حضوره في الشعر الجاهلي، لم يحظ بدراسة مستقلة عند الباحثين إلّا من خلال بعض الدراسات المتناثرة في بطون الكتب،التي درَسَتْ بعض جوانب الغراب على هامش الموضوعات، لكنني حاولت الاستفادة من بعض الدراسات القيّمة التي قام بها علماء وأساتذة أجلاء، ككتب "الحيوان" للجاحظ، وكتاب "حياة الحيوان الكبرى" للدميري، وكتاب "الطير في الشعر الجاهلي" لعبد القادر الربّاعي، و كتاب"الحيوان في الشعر الجاهلي" لحسين جمعة، وكتاب "الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجريّ دراسة في أصولها وتطوّرها" لعلي البطل، ثم البحث الذي قام به أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور إحسان الديك بعنوان"أسطورة النسر والبحث عن الخلود في الشعر الجاهلي".

وكان الذي دفعني إلى اختيار هذه الدراسة ــ تحديدًا ــ هو حبي للشعر الجاهلي، وشغفي الشديد إلى معرفة نظرة الإنسان القديم لهذا الطائر، وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز نظرة الإنسان القديم والإنسان الجاهلي لهذا الطائر من جوانب دينية وأسطورية ونفسية واجتماعية، ودراسة دوره الفاعل في أشعار الجاهليين، ذلك فضلًا عن القيمة التي تركتها صورة الغراب في أشعارهم،بأبعادها المختلفة، وأرجو أن تساهم هذه الدراسة في إدراك جانب من جوانب تراثنا القديم.

وارتأيت أن يكون هذا البحث في تمهيد وثلاثة فصول:

بحثت في التمهيد معنى كلمة الغراب ومشتقاتها لغة واصطلاحاً وأسماء الغراب عند العرب وسبب كل تسمية.

وفي الفصل الأول "الغراب في الموروث الإنساني"، ركزتُ فيه على الغراب في الفكر الإنساني القديم، والغراب في الفكر الجاهلي، وجاءت الدراسة في هذا الفصل تاريخية أسطورية.

أما الفصل الثاني وعنوانه" مواضع ورود الغراب في الشعر الجاهلي"، فكانت الدراسة فيه وصفية تحليلية تتبعت فيه مواضع ورود الغراب في الشعر الجاهلي وقسّمته إلى أربعة

مباحث،المبحث الأول الغراب والفراق، والمبحث الثاني الغراب والزجــر والعيافــة والطيــرة والتطيّر، والمبحث الثالث الغراب وأكل الجيف، والمبحث الرابع الغراب في مواضع مختلفة.

وقسمت الفصل الثالث إلى مبحثين: خصّصت المبحث الأول لدراسة صورة الغــراب دراســة فنية، فاهتممت بإبراز عناصر تلك الصورة، وكيف كان للغراب دورٌ في رسم تلك الصورة من خلال عناصر اللون والصوت والحركة.

وفي المبحث الثاني من الفصل الثالث، تناولت البعد الديني للصورة الفنية مــن خــلال علاقة الغراب ببعض التراث الديني الذي برز في صورهم الشعرية.

وفي البعد النفسي تحدثت عن الشعور النفسي الذي تخلّفه صورة الغراب فــي الشــاعر الجاهلي، كالتشاؤم والخوف والحزن.

أما في البعد الاجتماعي، فقد تناولت فيه بعض العادات الاجتماعية ودور الغــراب فــي إبراز هذه العادات، كعادة الزجر والعيافة وعقيدة طلب الثأر وغيرها.

وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي وصلت إليها في البحث.

والله وليّ التوفيق

التمهيد

احتلت الطيور مكانًا فسيحًا في الفكر القديم وارتبطت بمعتقدات دينيـــة غيبيـــة بعيـــدة الجذور، وترتد هذه المعتقدات إلى المجهول الذي يعيشه الإنسان في الحياة، وعـــرف الإنســـان الطيور منذ أن وطئت قدماه هذه الأرض، ومن الطيور التي كان لها أثرها في حيـــاة الإنســـان طائر الغراب، الذي حظي بمنزلة مهمة في معتقدات الأمم وتراثها، بالرغم من أنه طائر متوسط القدّ، طوله نحو 50 سنتم، وبسْطته نحو 60 سنتم، يتميز بلونه الأسود العابق، الأسفح، الموّاج، وبمنقاره المعقوف، وبصوته الذي يتشاءم منه كثير من الناس[1].

جاء في معجم لسان العرب" الغراب: الطائر الأســـود، والجمـــع أغْرِبـــة، وأَغـــرُب ٌ، وغربان،وغُرُبٌ ؛ قال: وأنتم خفاف مثل أجنحة الغُرُب، وغَرابِين: جمع الجمع "[2] ، فـــالغراب طائر معروف مشهور اختلفت نظرة الأمم إليه.

وفي معجم تاج العروس " (والغراب م) أي معروف فلا يحتاج إلى ضبطه وهو الطائر الأسود وقسّموه إلى أنواع، وفي الحديث أنه غير اسم غراب لما فيه من البعد ولأنه من أخبـــث الطيور. ولأهمية هذا الطائر عند العرب وغير العرب تعددت الأمثال التي تحكي عنه، فالعرب تقول: "فلان أبصر من الغراب"، و"أحذر من غراب"، و"أزهى من غـــراب"، و"أصفى عيشًا من غراب"، و"أشد سوادًا من غراب"، و"هذا بأبيه أشبه من الغراب بـــالغراب، وإذا نعتـــوا أرضًـــا بالخصب قالوا وقع في أرض لا يطير غرابها، ويقولون "وجد تمرة الغراب" وذلك أنه يتبع أجود التمور فينتقيها، ويقولون أشأم من غراب، وأفسق من غراب، ويقولون طار غـــراب فـــلان إذا شاب رأسه"[3] وسنورد شرحاً وتفصيلاً لهذه الأمثال في الفصل القادم.

---

[1] ينظر: بتيان، غرات قره: **موسوعة الحيوان الطيور**، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم، 1998، ص146.

[2] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط1، بيروت، دار صادر، 1968، مادة غرب.

[3] الزبيدي، مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي: **تاج العروس من جواهر القـــاموس**، ط1، القاهرة،المطبعـــة الخيريـــة، 1306 هـــ، مادة غرب.

"وأغربة العرب: سودانُهم، شُبهوا بالأغربة في لونهم، والأغربة في الجاهليــة:عنتــرة، وخُفاف بن نُدْبَةَ السُّلَمِيُّ، وأبو عمير بن الحُباب السُّلَمِيُّ أيضاً، و سُليك بن السُّلَكَة، وهشام بــن عقبة بن أبي مُعَيْط " [1]، وأرى أن هؤلاء ومعظمهم شعراء أُطلق عليهم لقب الأغربــة لتشــابه لونهم مع لون الغراب.

وصوت الغراب له دلائله من حيث التشاؤم فهو طائر خشن الصــوت، يتغــذى علــى الخضراوات واللحوم وإن كان ميله لأكل اللحوم أكبر[2]، فهو طائر خبيث آكل للجيف.

"وقال ارسطاطاليس في النعوت: الغربان أربعة أجناس أسود حالك وأبلــق و مطــرف ببياض لطيف الجرم يأكل الحبّ، وأسود طاوسي برّاق الريش ورجلاه كلوْن المرجــان يُعــرف بالزاغ، لا يعود إلى الأنثى بعد مرحلة المزاوجة، والأنثى تبيض أربــع بيضــات وخمسًــا وإذا خرجت الفراخ من البيض طردتها،لأنها تخرج قبيحة المنظر جدًا،إذ تكون صغار الأجرام كبيرة الرؤوس، والمناقير جرداء اللون متفاوتة الأعضاء، فالأبوان ينظران الفــرخ كــذلك فيتركانــه فيجعل قوته في الذباب والبعوض الكائن في عشّه إلى أن يقوى وينبــت ريشــه، فيعــود إليــه أبواه"[3]، يتضح لنا أنّ هذا الطائر قليل الوفاء والذمة يترك زوجته ولا يعود إليها، ويترك أطفاله وهم صغار فهو ليس كباقي الطيور يحنو على أفراخه، بل هو خبيث قاسي القلب.

وعن قبح أفراخ الغراب جاء في كتاب الحيوان للجاحظ " وزعم الأصمعي عــن خلــف الأحمر، أنه قال: رأيت فرخ غراب فلم أر صورة أقبح ولا أسمج ولا أبغض ولا أقذر ولا أنتن منه. وزعم أن فراخ الغربان أنتن من الهدهد ـــ على أن الهدهد مَثَل في النَّتَن ـــ فذكرَ عِظمَ رأس وصِغَرَ بدن، وطول منقار وقِصَرِ جناح، و أمْرَط أسْود، وساقط النفس،ومنتن الريح"[4]

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة غرب

[2] يُنظر:النجّار، زغلول:**من آيات الإعجاز العلمي، الحيوانات في القرآن الكريم**،ط1،بيروت،دار المعرفة،2006، ص406

[3].الدميري، كمال الدين: **حياة الحيوان الكبرى**، بيروت، دار الفكر، ج2، ص173(د،ط).

[4] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، ط2،القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبــي، ج2، ص318.

أما صوت الغراب فيسّمى نغيقًا ونعيقًاونعيبًا،" يُقال نغق الغراب ينغِقُ، بغين معجمة ؛ وينعب نعيبا بعين غير معجمة. فإذا مرت عليه السّنون الكثيرة غلُظ صوته قيل شحج يشحج شحيجاً"[1]،" ونقل البطليوسي عن صاحب المنطق أنه قال نعق الغراب ونغق قال وهو بالغين المعجمة أحسن"[2]، وكان لصوت الغراب عند العرب دلائله التي سنذكرها لاحقًا.

تعددت أسماء الغراب عند العرب، وكان لكل تسمية سببها، ومن تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغُربة، والاغتراب، واشتّقوا من اسمه اللون الغربيب(اللون الاسود)[3].

"وكنيته أبو حاتم، وأبو جحادف، وأبو الجرّاح، وأبو حذر، وأبو زيدان، وأبو زاجر، وأبو الشؤم، وأبو غياث، وأبو القعقاع، وأبو المرقال "[4] ،وسبب تسميته بأبي المرقال، أنه حاول تقليد مِشية القطاة لكنّه لم ينجح، وسنقدّم تفصيلا لهذه الأسطورة مصحوبة ببعض الأبيات الشعرية.

وأشهر أسماء الغراب، " غراب البين إذا أرادوا به الشؤم، أما غراب البين نفسه؛ فإنه غراب صغير. وإنما قيل لكل غراب غراب البين، لسقوطها في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها"[5]، ويقال إنّه سمي غراب البين لأنه بان عن نوح، وذكر الشعراء غراب البين في شعرهم كثيرًا.

"والعرب تسمي الغراب ابن دأية؛ لأنه إذا وجد دَّبَرةً[6] في ظهر البعير أو في عنقه قَرِحَة سقط عليها، ونَقَره وأكله حتى يبلغ الدايات"[7] ،وإذا كان في ظهر البعير دَبَرَةٌ غرزوا في سنامه

---

[1] الجاحظ: **الحيوان**، ج3، ص433

[2] الدميري: **حياة الحيوان الكُبرى**، ص174.

[3] ينظر: الجاحظ: **الحيوان**:ج2، ص316.

[4] الدميري: **حياة الحيوان الكبرى**، ج2، ص172.

[5] الجاحظ: **الحيوان**: ج3، ص431.

[6] الدبرة ، بالتحريك: القرحة.

[7] جاءت هذه الكلمة ومفردها في السطر السابق خالية من الهمز، و أصلها الهمز. والدايات: فقر الكاهل والظهر.

إما قوادم ريش أسود[1] وإما خرقاً سوداء ؛ لتفزع الغربان منه "[2]، وهذه العادة موجودة عند العرب منذ القدم.

ومن أنواع الغربان، غراب الليل، وهو الذي ترك أخلاق الغربان وتشبّه بأخلاق البوم، فهو من طير الليل، وهذا الغراب يُشاهَد كثيراَ في الليل[3]، فهو يشبه البوم في حركاته وتصرفاته.

"وسمّوا الغراب بحاتم؛ إذا كان يحتم الزّجر به على الأمور" [4]،ويُقال له ابن الأبرص، وابن بريح، وهو أصناف: الغداف و الزاغ والأكحل وغراب الزرع والأورق وهذا الصنف يحكي جميع ما يسمعه، والغراب الأعصم عزيز الوجود، قالت العرب: أعز من الغراب الأعصم، وقال ــ عليه السلام ــ مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم في مئة غراب، قيل يا رسول الله:و ما الغراب الأعصم ؟ قال: الذي إحدى رجليه بيضاء، وجاء أن الأعصم أبيض البطن أو أبيض الجناحين وقيل أيضاً أبيض الرجلين[5]، والغراب الأعصم عزيز الوجود كما جاء في الحديث الشريف، وسمّوه أعور لتغميض إحدى عينيه أبدًا من قوة بصره فهو حديد البصر يُخاف من عينيه [6].

ومن الصفات المعيشية للغراب، أنّ تسافدها[7] على غير تسافد الطير، وأنها تزاقٌّ بالمناقير، وتلقح من هناك [8]،وهو شديد النقر وإنّه ليصلُ إلى الكمأة المُنْدفنة في الأرض بنقرة واحدة حتى يشخصها.

---

(1) قوادم الريش: أربع أو عشر في مقدم الجناح.

(2) الجاحظ: **الحيوان**، هامش ص 416.

(3) ينظر: الدميري: حياة الحيوان الكُبرى، ص173.

(4) الجاحظ، **الحيوان**: ج3، ص439.

(5) يُنظر: الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج2، ص 172.

(6) يُنظر: **حياة الحيوان الكبرى**، ج2، ص175.

(7) تسافدها من الفعل سفِد ، سفِدَ ذكر الحيوان أنثاه، وعلى أنثاه سفْداً نزا عليها.

(8) ينظر: الجاحظ، **الحيوان**: ج3، ص464.

والغراب طائر شديد الذكاء، ومن الأدلة على ذكائه أنه يدفن موتاه، ولا يتــركهم نهبــاً للجوارح من الحيوانات المفترسة، أو للتعفن والتحلل في الجوّ، وثبت أن الغراب يقــوم بحفــر الأرض بوساطة مخالبه ومنقاره؛ ليكوّن حفرة عميقة يقوم بطيّ جناحي الغراب الميت وضــمّها إلى جنبيه، و رفْعه برفق لوضعه في قبره، ثم يهيل عليه التراب حتى يخفي جسد الميت تمامــاً كما يفعل المسلمون بموتاهم احترامًا لهذا الجسد حيًا وميتًا[1]، ومن الأمور التي تؤكد ذكاءه أنه يرمي في الطرق العامة ما لم يستطع فتحه من الثمار والأصداف الصلدة، مثــل جــوز الهنــد، وأصداف بلح البحر، وبعض الحيوانات الكبيرة مثل السنجاب، كي تقوم السيارات المارة بدهسها وإعدادها لقمة سائغة[2].

وتعيش الغربان في جماعات لها قوانينها وأنظمتها،" فأثبتت دراسات سلوك الحيوان أنّ للغربان محاكم تلتزم قوانين العدالة الفطرية، تحاكم الجماعة فيها أي فرد يخرج على نظامهــا، مثل محاولات التعدّي على حرمات غراب آخر من أنثى، أو فراخ، أو عش، أو طعــام، ولكــل جريمة عند جماعة الغربان عقوبتها الخاصة بها، ففي حالة اغتصاب طعام الفراخ الصغار تقوم جماعة الغربان بنتف ريش الغراب المعتدي حتى يصبح عاجزاً عن الطيران كالفراخ الصــغار قبل اكتمال نموّ ريشها"[3]، هذه عقوبة محددة لفعل خبيث.

"وفي حالة اغتصاب العش وتهدمه في مراحل الدفاع عنه تكتفي محكمة الغربان بــإلزام المعتدي ببناء عش ّجديد لصاحب العش المُعتدى عليه، وقد يتبع ذلك الطرد مــن الجماعــة إذا تكررت الأخطاء من هذا النوع، وفي حالة اغتصاب أنثى غراب آخر فإنّ جماعة الغربان تقضي بقتل المعتدي ضرباً بمناقيرها حتى الموت، وتنعقد محاكم الغربان عادة في حقل مــن الحقــول الزراعية أو في أرض فضاء واسعة، تتجمع فيه هيئة المحكمة في الوقت المحدّد، وينحى الغراب المتهم تحت حراسة مشدّدة، وتبدأ محاكمته فينكّس رأسه، ويخفض جناحيه، ويمسك عن النعيــب

---

[1] يُنظر النجار، زغلول: **من آيات الإعجاز العلمي، الحيوانات في القرآن الكريم**، ص405- 406.

[2] ينظر:المرجع السابق: ص407.

[3] المرجع السابق: ص 407.

اعترافاً بذنبه " [1]،هذا يثبت مما لا شكّ فيه أن الغربان طيور ذكية،لا تقبل الظلم لأفراد مجتمعها حتى لو كان المعتدي فرداً من هذا المجتمع.

يتضح لنا مما سبق تعدّد أسماء الغراب وصفاته المعيشية، فهـــو طـــائر تميّـــز بـــاللؤم والخبث، وصفاته بعيدة كل البعد عن صفات الطيور الأخرى، فهو ليس حنوناً كباقي الطيـــور، فهو يترك أفراخه الصغيرة دون رعاية تقاسي البرد والجوع، لكنّه منظّم في مجتمعـــه يحتـــرم قوانين الجماعة.

---

[1] النجار، زغلول: **من آيات الإعجاز العلمي، الحيوانات في القرآن الكريم**: ص 407.

الفصل الأول

الغراب في الموروث الإنساني

المبحث الأول: الغراب في الفكر الإنساني القديم

المبحث الثاني: الغراب في الفكر العربي القديم

المبحث الأول

الغراب في الموروث الإنساني القديم

دأب الإنسان بما سخَّرَه الله له في الحياة في اكتشاف ما حوله، فجهد دوما في كشف حقيقة العالم والحياة والبدايات [1]، وبإمكاننا أن نستنتج ــ مما عرفنا من نقوش الكهوف، ومما خلفته لنا المجتمعات الإنسانية القديمةــ أن التصورات العقائدية لهذه المجتمعات ارتبطت بالكائنات الحية أكثر مما ارتبطت بالأجرام السماوية، وتغييرات الفصول، وظواهر الطقس[2].

فاهتمامات الإنسان القديم اتجهت أولاً إلى الحيوانات التي كان يقتنصها، و قد ظل ذلك ــ على الأرجح ــ حتى وقت متأخر عندما بدأ الناس يولون أهمية للمطر والرعد، وأطوار القمر، وحركات الشمس، كمؤثرات تتصل بحياتهم وبما يصيبهم من رغد[3].

وبالرغم من التطورات الحاصلة في حياة الإنسان القديم، إلا أنّ حياته ظلت مرتبطةً بالحيوان، ارتباطاً وثيقاً، " وكان للطير في مخياله حضور كبير، وله في ذهنه مكانة مكينة، وفي لا شعوره فسحة واسعة، وذلك لتميزه بحالة الطيران التي يفتقدها الإنسان، والتي تؤكد عجزه وقصوره من جهة، وتدل من جهة أخرى على سرعة الطائر الفائقة، وقدرته العظيمة على الوصول إلى مكان عالٍ أو بعيد"[4]، وقد نظر الإنسان القديم إلى الطير نظرة أسطورية[5]، "فهو في خوفه من الموت، و في شنه الحرب ضد أعدائه، وفي طلبه الثابت للخلود، وفي تفاؤله وتشاؤمه، كان يستذكر الطير، ويستدعي منه أحوالاً وصوراً مناسبة لكل مقام"[6].

---

[1] ينظر: السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى**، دراسة في الأسطورة، ط2، بيروت، دار الكلمة للنشر، 1981، ص 8 .

[2] ينظر: العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو؟**،دراسات في التراث الشعبي ، ط1، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1965، ص99.

[3] ينظر:المرجع السابق ص99.

[4] الديك، إحسان: **أسطورة النسر والبحث عن الخلود في الشعر الجاهلي**، مجلة الدراسات، الجامعة الأردنية،2010، مجلد 37، ص357.

[5] ينظر: المرجع السابق، ص357.

[6] الرباعي، عبد القادر:**الطير في الشعر الجاهلي**،ط1،بيروت،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998 ، ص65.

وحظيت بعض الطيور باهتمامات بالغة في تراث الأمم القديمة، والغراب خير مثال على ذلك، فلا يكاد تراث أمة يخلو من إشارات حوله[1].إذ كان له دور بارز في فكر الإنسان القديم ومعتقده، و قد اختلفت نظرة الإنسان القديم له من حضارة إلى أخرى فتارة نجده يحظى بهالة قدسية، وتارة أخرى نجده طائرًا كريهًا مشئومًا.

وكان **السومريون** من أهم الأمم التي قدست الغراب، فقد جاء في أساطيرهم ما يُؤكد قدسية هذا الطائر في الفكر والمعتقد، فها هو الإله "إنكي" " يتوجّه إلى غراب (؟) ويعطيه تعليمات يَنتج عنها خلْق شجرة النخيل أول شجرة مثمرة في أول بستان على الأرض"[2].

"بعد أن نادى الإله[إنكي] الغراب(؟)

وجّهَ إليه هذه الكلمات:

"لدي كلمة أقولها لك، استمع إليّ أيها الغراب(؟)

أيها الغراب (؟) لديّ ما أبلغك إياه: استمع إليّ!

"كِحلُ التعويذ في أريدو،

الموضوع في وعاء المرهم من اللازورد والموجود في غرفة الأمير

والموجود في غرفة بيت الأمير[3]

(هذا الكحل) فتّته (؟) ونعّمه(؟)

وازرع حبيباته بين المساكب

بجوار المستنقع ــــ ذي ــــ الكُرّاث!"

---

[1] يُنظر:العنتيل، فوزي: **الفلكلور ما هو ؟**، ص100.

[2] الشوّاف، قاسم: **ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور**، ط1، بيروت، دار الساقي، 1996، ص87.

[3] المقصود هنا هو إنكي متكلما عن نفسه.المرجع السابق ص87.

كم من قصة نسجت حول ذلك

وكم من رواية كذلك ردّدت ! " [1]

نفّذ الغراب أوامر الإله إنكي، فهو مساعد الإله في عملية الخلق، فهذا يؤكد قدسيته في فكر السومريين ومعتقداتهم، فهو طائر شديد الذكاء[2]، سيقوم بالمهمة على أكمل وجه.

تروي بقية الترنيمة السومرية.

"نفّذ الغراب أوامر سيده

ففتّت (؟) ونعّم (؟)

كِحْل التعويذ في أريدو

الموضوع في وعاء المرهم من اللازورد

والموجود في غرفة بيت [الأمير]

وزرع هذه الحبيبات بين المساكب

بجوار المستنقع ـــــ ذي الكُراث

[ونتج عن ذلك.. نخلة(؟)]"[3]

ويُثني الإله إنكي على الغراب ويجعله رجلاً مع أنه طائر بسيط ، فيقول:

"وطائر كهذا الغراب (؟)

الذي أنجز عمل رجل:

---

[1] الشوّاف، قاسم: **ديوان الأساطير ، سومر وأكاد وأشور**، ص87-88.

[2] يُنظر، النجّار، زغلول:،**من آيات الإعجاز العلمي، الحيوانات في القرآن الكريم**، ص405.

[3] الشوّاف،قاسم: **ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور**،ص88.

قذف في الهواء جرفاتٍ من التربة

ولكي يكدسها،

وقلّب جرفاتٍ من التربة

لكي يكومها

لم يشهد ذلك قبلا أحدٌ قط !

وبعد كل ذلك، انطلق الغراب(؟)من[...]

وتسلّق [النخلة] المورقة(؟)

وملأ فمه[بالتمور ذات] الحلاوة "(1)

بعد أن نفذ الغراب أوامر سيّده ظهرت النخلة إلى الوجود، صعد الغــراب إلـــى أعلـــى النخلة وملأ فمه بالتمور ذات الحلاوة.

"وهكذا(؟)هذا الطائر، هذا الغراب (؟)

منفذاً لأوامر سيّده

جعل [النخلة] تظهر إلى الوجود

كم من قصةٍ نُسجت حول ذلك

وكم من روايةٍ كذلك رددت"(2)

(1) الشوّاف،قاسم: **ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور**: ص89.

(2) المرجع السابق، ص89-90.

يتضح مما سبق أن السومريين كانوا من أول الشعوب التي قدّست الغـراب، والـنص السومري السابق يؤكد هذه الفكرة، فالغراب كان مساعداً للإله إنكي في عملية خلق النخلة وهذا دليل واضح على قدسية هذا الطائر في المعتقد السومري، ولم يكن السومريون وحدهم من قدسوا الغراب فقد كان الغراب لدى **الحرّانيين** رمزاً من رموز الشمس[1]. " حيـث يخـتلط بعبـادات الحرّانيين أنه رمز للشمس، وكان يلعب دوراً جنسياً إثر علاقات مع إلهات مؤنثـة قمريـة"[2]، وهذا دليل على قدسيته، وكان الغراب مقدساً عند **البابليين** فهو رسول المعرفـة الـذي أرسـله "أوتونابشتيم" ليستكشف انحسار الماء بعد الطوفان، كما جاء في نص الطوفان البابلي:

"وعندما حلّ اليوم السابع، أتيت بحمامة وأطلقتها في السماء

طارت الحمامة بعيداً وما لبثت أن عادت إلي

لم تجد مستقراً فآبت

فأتيت بسنونو وأطلقته في السماء،

طار بعيداً وما لبث أن عاد إليّ.

ثم أتيت بغراب وأطلقته في السماء،

فطار الغراب بعيداً ولما رأى أن الماء قد انحسر،

أكل وحام وحط ولم يعد"[3]

ويؤكد هذه الفكرة عبد العزيز صالح في كتابه "**تاريخ الشرق الأدنى القديم**" حيث يقول: "استمرت أعاصير الطوفان ستة أيام (وست) ليالٍ"[4]، وفي اليوم السـابع أطلـق "اتونابشـتيم"

---

(1) عجينة، محمد:**موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ط1،بيروت، دار الفارابي،1994، ج1،ص327.

(2) ينظر حاشية، المرجع السابق، ص327.

(3) السوّاح، فراس: **مغامرة العقل الأولى**، ص133 .

(4) **الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق**، ط4، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، 1984، ص480.

الحمامة، فذهبت وعادت وعزّ عليها أن تجد مكانًا ظاهرًا تحط عليه، وأرسل سنونو فذهب وعاد حين لم يجد موضعاً ظاهراً يحط عليه، فأرسل غراباً فذهب ورأى الماء يتناقص فأكــل وعــبّ ودار ولم يعدْ [(1)]، نرى أن الغراب في هذه الأسطورة أدى دور رســول المعرفــة،فهو رســول الآلهة [(2)]، " كما أنه دليل أو مرشد يقود الناس إلى المدن، وأحيانا إلى السموات"[(3)].

وتقول الأساطير **الأكادية**: إن البحث عن اليابسة اشتركت فيه ثلاثة طيور هي: الحمامة، وعصفور الجنة، والغراب[(4)]، وهذا يتفق مع الأساطير البابلية في كوْن الغراب رسولاً للمعرفــة وهذا يضفي عليه نوعا من القداسة ــ كما ذكرنا سابقًا ــ.

"ومن الأشياء التي ينبغي ملاحظتها أن الغربان تمتلك قوى غريبة بين الشعوب **السامية**، فالحكايات **الآرامية** تخبرنا بأن الشياطين عندما طُردت اتخــذت شــكل الغربــان، وأن الأرواح الشريرة تهاجم القديسين متخذة شكل الغربان السوداء النجسة "[(5)].يمكننا القوْل إن كثيراً من الأمم منذ العصور القديمة كانت تحس إزاء هذا الطائر إحساسًا يشوبه التقديس أو الخرافــة[(6)]،إذ إنــه تمتع برمزية عقائدية خاصة قبل الإسلام[(7)]، فأثّرت هذه الرمزية كثيرًا في تسيير أمــور حيــاة الإنسان العربي في تلك الحقبة، وخاصة في موضوع الزجر والعيافة والتطير.

والمعطيات الكهانية والفالات المستخرجة من الغراب عديدة جداً[(8)]، فكثير مــن النــاس كانوا ينظرون إلى الغربان بوصفها مصدرًا للتكهن، بل إنهم كانوا يعتقدون أنها تمتلك قدرة على التنبؤ. " فكان **الإغريق** يقدسون هذا الطائر ويربطون بينه وبين "أبلو" إله النبوءة.كما كان عرّافو

---

(1) ينظر: صالح، عبد العزيز، **الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق**، ص480

(2) العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو ؟** ،ص107.

(3) يُنظر المرجع السابق، ص109.

(4) العنتيل، فوزي: **الفلولكلور ماهو ؟**، ص106.

(5) ينظر: المرجع السابق، ص106.

(6) ينظر: فريزر، جيمس:**الفولكلور في العهد القديم**، ترجمة نبيلة إبراهيم، مراجعة حسن ظاظا، القاهرة،الهيئة المصــرية العامة للكتاب، 1974، ج2، ص133، د.ط

(7) يُنظر: فهد، توفيق: **الكهانة العربية قبل الإسلام**،ترجمة حسن عودة، رندة بعث، ط1، بيروت، قدمس للنشر والتوزيــع 2007، ص349.

(8) يُنظر:المرجع السابق، ص349.

الإغريق يستمدون النبوءة من نعيبه. وفضلاً عن ذلك فإن من كان يرغب في اكتساب قوة إلوهية، كان يأكل قلب الغراب، معتقِدًا بذلك أن قلبه يحتوي مقدرةً على النبوءة " [1]، وكان الغراب في تراث **الإغريق** يقوم بمهمة نقل الأخبار، فهناك غرابا (أودن) كانا يطيران كل صباح، فيجوبان أنحاء المعمورة بحثاً عن الأخبار، ثم يعودان فيجثمان على كتفيه، ويهمسان له بما عرفاه، وهناك أيضا الغراب الذي يجلب الأخبار "لأبلو"[2].

وجاء" في التراث **اليوناني** أن "أبلو" أرسل الغراب ليبحث عن الماء فلما أبطأ حلت عليه اللعنة الأبدية، وهي أن يظل عطشانَ"[3]، " فالمعتقدات الشعبية تؤمن بقدرة الغراب على التنبؤ بالحوادث خيرها وشرها، وكراهية الغراب ترتبط بتلك المقدرة التي يمتلكها للتكهّن بالمستقبل"[4].

وجاء في بعض أساطير البلدان ما يؤكد مقدرة الغراب على التكهن، فالأسطورة تروي أنّ الفتاة التي لم تتزوج تعمد إلى الخروج في صباح عيد (تطهير العذراء) ــ الثاني أو الثالث من فبرايرــ ثم تقذف بسرعة ثلاثة أشياء متتابعة على رأس أحد الغربان، وأما هذه الأشياء فهي حجر وعظمة وقطعة من الفحم النباتي، ثم ترصد حركة الغراب، فإذا طار باتجاه البحر فإنها تتوقع أن يأتي زوج المستقبل من البحر، أما إذا حطّ الغراب على منزل أو على مزرعة، فإن ذلك يعني أنها ستتزوج رجلاً من هذه العائلة التي تسكن المنزل، أو تمتلك المزرعة، ولكن إذا ظل الغراب مكانه، فعليها أن تقنع بنصيبها المقسوم لأنها ستظل عانسًا[5].

"وكان **الرومانيون** يعتقدون أن الغراب يستدعي سقوط الأمطار وهو يمشي متبختراً ذهابًا وإيابًا على الرمال"[6]، وكانوا ينظرون إليه باعتباره طائرًا مقدسًا، وهذه حكاية توضح بجلاء هذا التقديس، ففي عهد الملك تبيريوس كان هناك غرابان ابتنيا عشهما على سطح معبد

---

(1) فريز، جيمس: **الفولكلور في العهد القديم**،ج2، ص132.

(2) يُنظر: العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو؟**،ص110.

(3) المرجع السابق، ص116.

(4) المرجع السابق، ص103.

(5) ينظر: المرجع السابق، ص105.

(6) فريزير جيمس:**الفلكلور في العهد القديم**،ج2، ص133.

"كاستور وبولوكس". وبعد مدة طار أحد الغرابين واتخذ من حانوت حذّاء مسكناً له. ولم يجرؤ هذا الحذّاء على مضايقة الغراب، إذ كان الناس ينظرون إليه نظرةً ملؤها الورع الديني، إما لشخصه، أو لصلته بالمكان المقدس الذي كان يسكنه. وقد تعوّد الغراب أن يطير من الحانوت كل صباح ويقف على المنبر الذي في الساحة العامة، ويحيّي المارة السائرين إلى أعمالهم بطريقة دمثة، ويقوم بتحية الإمبراطور وولديه بصوت مميز، ثم يعود إلى الحانوت، وقد تعوّد فعل ذلك طيلة سنين عدة. حتى تمكن حذّاء آخر كان يجاور الحذّاء الأول من قتل الغراب. وقد تصور الناس أن الحذّاء قتل الغراب إما حقدًا على جاره الذي كثُرَ رزقه بسبب هذا الغراب أو لأن الغراب نفسه أتلف له أحذيته فقتله في ثورة غضبه.

ومهما كان الدافع، فقد كان هذا اليوم يوم شؤم في حياة الحذّاء القاتل. وذُعِرَ الناس لموت صديقهم القديم، وهبّوا في ثورة غضبهم وطردوا الحذّاء الجاحد من حانوته، ولم يقرَّ قرارهم حتى سفكوا دم هذا الكافر.أما الغراب المتوفّى ، فقد احتُفل بجنازته احتفالا شعبيًا حضره آلاف المواطنين، وقد حُمِلَ نعش الفقيد على أكتاف اثنين من الأثيوبيين، اللذين يشبهان الغراب في سوادهما، وحملت أكاليل الأزهار من كل صنف معبرةً عن مدى تقدير الشعب وحزنه على هذا الفقيد. وبهذه الطريقة سارت الجنازة إلى القبر حيث بُني له قبر على بعد ميلين من طريق "أبايان".ويعلق بعض المؤرخين على هذه الجنازة قائلا: إنها جنازة لم يُحتفل بها لأمير(1). أدّى الغراب في هذه الحكاية دور الطائر المقدس، الذي لا يجرؤ أحد على مضايقته أو مسّه بسوء، فهو بمنزلة الكاهن أو الراهب أو حتى القِدّيس.

"ويتصور **الهنود "الليلوويون**" الذين يسكنون كولومبيا البريطانية ، أن من يحرس الغراب روحه يكون ممتلكاً لمنحه القدرة على التنبؤ، فيستطيع بصفة خاصة أن يتنبأ بالموت وأحوال الجوّ. فالغراب يُعدّ بحق في الأساطير التي تدور على الألسن بين القبائل الهندية التي تسكن غرب أمريكا، أحد شخوصها الرئيسة" (2).

---

(1) ينظر:فريزر، جيمس:**الفولكلور في العهد القديم**، ج2، ص133-134.

(2) المرجع السابق،ج2، ص 133.

و"الغراب في الأساطير **الصينية** يطير في أنحاء الغابة مسبباً العاصفة، وهو بذلك يقوم بمهمة تحذير الكائنات؛ لأن الآلهة على وشك أن تعبر الغابة، ومن ثم فعلى الناس أن يذهبوا إلى بيوتهم وأن يعتصموا بها أيامًا عديدة، و يذهب الإمبراطور ــ أثناء ذلك ــ في موكب رسمي لتقديم القرابين"[1]، كما أن إمبراطور اليابان استمدّ العون من إلهة الشمس، ومن الغراب في قيادة جيشه[2]. فالغراب يقترن بالشمس في الصين و اليابان[3].

"ومن بين الخصائص التي خلعت على الغراب مزيداً من التقديس من وجهة نظر الشعوب مقدرته على تقليد صوت الإنسان "[4]، كما تميز بمقدرته على فهم اللغة الإنسانية، فبعض الناس كانت لديهم قدرة على فهم حديث الغراب، ففي سيبريا عندما يعزّم الساحر على إحدى الأرواح كي تتحدث، فإنها تتحدث بلغتها الخاصة إلا أن تكون هذه الروح روح ذئب أو ثعلب أو غراب، فإنها في هذه الحال تتحدث باللغة الإنسانية، لأن هذه الثلاثة تمتلك المنطق البشري[5]. ومن الأساطير التي توضح فهم بعض الناس للغة الغراب تلك القصة الموجودة في أسطورة (راما و لكسمان) الهندية،التي تحكي عن الرجل الذي تعلم طريقة شفاء ابنة (الخان) لأنه سمع صدفة محادثة كانت تجري بين غرابين[6].

"إن ارتباط الغراب بفكرة الموت أضفى علية صفة أخرى، هي اتصاله بما يتعلق بالأرواح والأشباح، ومن ذلك ما قيل من أن الملك آرثر كان يقوم برحلاته المفضلة للصيد في(ويلز)، وفي(كورن وال) متنكراً في هيئة غراب.و تبعًا لهذا الاعتقاد، فقد اعتبر ــ في تلك المناطق ــ بأن قتل الغربان يجلب سوء الحظ. وقد تطور هذا الاعتقاد في أماكن أخرى، فأصبح من يقتل غرابًا، فإنه سيموت عاجلاً"[7].

---

(1) العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو ؟**، ص116.

(2) يُنظر:المرجع السابق: ص109 .

(3) ينظر:المرجع السابق: ص117.

(4) فريزر، جيمس: **الفولكلور في العهد القديم** ،ج2، ص134.

(5) يُنظر: العنتيل ، فوزي: **الفولكلور ما هو ؟**، ص111.

(6) يُنظر: المرجع السابق: ص111.

(7) المرجع السابق، ص106.

أدّى الغراب أكثر من دور في موْروث الأمم القديمة و معتقدها، فكان التقـديس قاسـمًا مشتركاً بين هذه المعتقدات مجتمعة، فهو رسول للآلهة، مساعد لها في عملية الخلـق ،"وهنـاك اعتقاد شائع في أجزاء كثيرة من نصف الكرة الشمالي حول الغراب الحكيم الذي يقـوم بخدمـة البشرية ويتصرف باعتباره وسيطًا، أو مبعوثًا بين الآلهة والناس"[1]. إن التصاق الغراب بالآلهة ــ كما مر معنا في أكثر من موضع ــ يوحي بأن الغـراب نفسه ــ في نظر كثير من الباحثين ــ كان أحد الآلهة [2]، لذلك التصقت بهذا الطائر فكرة التقديس في معتقـدات أغلـب الشـعوب القديمة.

"ومن المحتمل كذلك أن عادة الغراب في أكل أجسام الموتى قد سـاعدت علـى نظـرة الناس إليه في خوف ورهبة. فمن المألوف أن البدائيين كانوا يعتقدون أنه في وسعهم أن يكتسبوا صفات الميت عن طريق أكل جزء من جسده. وربما تصوروا على هـذا النحـو أن الطيـور المفترسة التي تعيش على أكل الرمم، تمتلك لهذا السبب صفة الحكمة وغير ذلك من الصـفات التي كان يتصف بها الشخص المتوفى" [3].

واختلفت نظرة الأوروبيين للغراب من دولة لأخرى، و سأورد بعض هذه الاعتقـادات التي ربما كانت متأخرة بعض الشيء عن فكر الأمم القديمة ومعتقدها، لكن مما لا شكّ فيـه أنّ هذه المعتقدات كانت لها جذور عند الإنسان القديم، لهذا سنذكر بعض المعتقدات الخاصة ببعض الدول الأوروبية، " ففي التراث الدنمركي ظهور الغراب يعني ظهور نبوءة هي: أن الموت قـد جاء لراعي الكنيسة "، " وفي تشيكوسلوفاكيا يُعتقد بأن أكل قلوب ثلاثة غربان مسحوقة يعطـي مناعة ضد القتل، وبأن أكل قلوب الغربان يساعد أصحابه على اكتساب ما لدى الغربان من قدرة على الرؤية "[4].

---

(1) يُنظر: العنتيل ، فوزي: **الفولكلور ما هو ؟**،، ص 110.

(2) المرجع السابق: ص110.

(3) فريزر، جيمس: **الفولكلور في العهد القديم**،ج2، ص135.

(4) العنتيل فوزي: **الفولكلور ما هو ؟**، ص102.

وجاء في المعتقدات الشعبية الألمانية أن الغربان كانت في الأصل أرواحاً حلت عليها اللعنة، أو أنها كانت خيولاً للساحرات، ثم صارت غربانًا بعد ذلك، وكان الاعتقاد في روسيا أن روح الساحرة تتخذ شكل الغراب،وفي بعض الحكايات الشعبية يظهر الشيطان في هيئة غراب، وفي بعض الأحيان نراه يحرس كنزاً، ويُقال إن بعض الغربان تقوم بمهمة رسول إبليس[1].

وفي الأساطير الكلتية كانت تسمى إلهة الحرب (بادب كاتا) و معناها(غراب المعركة)، حيث كان الغراب لدى الكلتيين يقوم بمهمة حمل الرسائل للأعداء، ونجده في أساطير التبت رسولاً للقوى العليا. " لقد ظهر الغراب في صور مختلفة في الأساطير، منها أنه طائر منبئ بالعواصف، وكطائر شمسي، وكرسول، ومنبئ بالمستقبل "[2]، ومنذر بالموت والبوار، هذه صورة الغراب في أساطير الأمم القديمة، حيث اختلف دوره واختلفت نظرة الشعوب إليه، فتارة نراهم يقدسونه و تارة أخرى نجدهم يتشاءمون منه ويكرهون رؤيته.

أما الغراب عند **اليهود** فتعدّدت صوره، حيث ذُكِر في الكتاب المقدّس تسع مرات، أهمها دوره رسولاً ومستكشفًا حين أرسله نوح ــ عليه السلام ــ ليأتيه بخبر اليابسة، حيث جاء في سفر التكوين الإصحاح الثامن" وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِداً حَتَّى نَشِفَتِ المِياهُ عَنِ الأَرْضِ"[3]، "إن نوحًا ــ عليه السلام ــ لما كان في السفينة بعث الغراب ليكشف له هل ظهر من الأرض موضع، فوقع على جيفة فلم يرجع إليه"[4]، فالغراب في هذه القصة قليل الذمة خبيث، فقصة الطوفان التوراتية مستمدة من قصة الطوفان البابلية [5]، فالغراب في كلا القصتين أدّى دور الرسول الذي يبحث عن اليابسة.

وورد في التفسير اليهودي سبب اختيار نوح للغراب، فالطيور التي حملها نوح معه في السفينة كانت من كل زوجين اثنين، وحرمّ عليها أن تتزاوج، فعصى الغراب ربّه وتزوج فكان

---

[1] ينظر: العنتيل فوزي: **الفولكلور ما هو ؟**،، ص 107.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص110 – 111، ص117.

[3] **الكتاب المقدس**،العهد القديم، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، سفر التكوين،8: 7 ص13.

[4] عجينة، محمد، **موسوعة أساطير العرب**، ص302.

[5] ينظر: العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو ؟**، ص106.

على السفينة أكثر من غراب، ولذلك أرسله نوح دون خوف على فصيلة الغراب أن تنقـرض، يعني إذا ذهب و لم يعد فهناك غربان أخرى. "واليهود القدامى كـانوا يتفـاءلون بـالغراب ولا يضيقون بنعيبه، بل إنهم إذا أرادوا أن يعرفوا المستقبل نظروا إلى جماعة الغربان وهي تطيـر معا ذهاباً و إياباً ومن تشكيلها يعرفون مستقبل الأحداث أو الأشخاص، وخاصة عنـد الغـروب وعند الشروق" [1].

وجاء في العقيدة اليهودية تحريم أكل لحم الغراب، فهو طائر نجس مكروه،،كما جاء في سفر "اللاوين" الإصحاح الحادي عشر13 " وَهذِهِ تَكْرَهُونَهَا مِنَ الطُّيُورِ.لا تُؤكَلْ. إِنَّها مَكْرُوهَةٌ: النَّسْرُ وَالأنُوقُ و َالعُقَابُ14 وَالْحِدأَةُ وَالْبَاشِقُ عَلَى أَجْنَاسِهِ 15 وَكُلُّ غُرَابٍ عَلَـى أَجْنَاسِـهِ "[2] وسفر " التثنية" الإصحاح الرابع عشر" 1 وَهَذَا مَا لَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ: الْنَّسْرُ وَالأَنُوقُ وَالعُقَـابُ 13 وَالْحِدأَةُ وَالْبَاشِقُ وَالشَّاهِينُ عَلَى أَجْنَاسِهِ 14 وَكُلُّ غُرَابٍ عَلَى أَجْنَاسِهِ "[3].

وهو رمز للخراب كما جاء في سفر "إشعيا " الإصحاح الرابع والثلاثـين " 1 وَيَرِثُهَـا الْقُوقُ وَ الْقُنْفُذُ، وَ الكَرْكِيُّ وَ الْغُرَابُ يَسْكُنَانِ فِيهَا، وَيَمُدُّ عَلَيْهَا خَيْطُ الْخَرَابِ وَ مِطْمَارُ الْخَلَاءِ"[4] فالغراب يسكن في الأماكن التي رحل عنها أهلها و حل بأرضها الدمار، إذن هو رمز من رموز الخراب، ومن الأمور التي جعلت الغراب يتمتع بنوع من التقديس عند اليهود، قصته مع النبـي إيليا[5]، بدأت الحكاية عندما أوحى الربّ للنبي إيليا بأن يخبر"أخاب" ملك بني إسرائيل أنّ أرضَه لن ترى الندى أو المطر لعدة سنوات، وبعد أن بلّغ النبي إيليا رسالة الرب، أوحى له الـربّ أن يترك هذا المكان لكي لا يهلك في هذا الجدب[6]، ورد في سفر الملوك الأول الإصحاح السـابع عشر"2 وكَانَ كَلَامُ الرَّبِ لَهُ: 3" انْطَلِقْ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَاخْتَبِئْ عِنْدَ نَهْـرِ كَرِيـثَ الَّذِي هُو َمُقَابِلُ الْأُرْدُنِّ 4 فَتَشْرَبَ مِنَ النَّهرِ. وَقَدْ أَمَرْتُ الغِرْبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَـاكَ ". 5 فـانْطَلَقَ

---

[1] منصور، أنيس:**لأسباب اختار نوح الغراب، الشرق الأوسط**، جريدة العرب الدولية، لندن، عدد11168، 2009

[2] **الكتاب المقدس**: سفر اللاوين، 11: 13-15، ص 168.

[3] المصدر السابق: سفر التثنية، 14: 12- 14، ص294.

[4] المصدر السابق: سفر إشعيا، 34: 11، ص991.

[5] النبي إيليا: هو النبي إلياس عليه السلام.

[6] يُنظر: فريزر، جيمس: **الفولكلور في العهد القديم** ،ج2، ص129.

وَعَمِلَ حَسَبَ كَلاَمِ الرّبِّ وَذَهَبَ فَأَقَامَ عِنْدَ (نَهْرِ كَرِيثَ) الّذِي هُوَ مُقَابِلُ الأُرْدُنِّ. 6 وكَانَتِ الغِرْبَانُ تَأْتِي إلِيْهِ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ صَبَاحاً و بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ مَسَاءً، وكَانَ يَشْرَبُ مِنَ النَّهْرِ.[1] فالربّ كلّف الغراب بمهمة إطعام النبي إيليا، ولأنّه مكلّف من الربّ، فهذا يعطيه قدسية خاصّة ميّزته عن باقي الطيور.

ومما يؤكد قدسية لون الغراب عند اليهود، تلك الأوصاف التي وصفتها فتاة تنتظر حبيبها لكي يدخل جنّتها، ومن هذه الأوصاف وصفها لشَعْر حبيبها الأسود الحالك كلون الغراب المقدس، و ربما اختارت هذه الفتاة لون الغراب لتضفي على حبيبها هالة قدسية تميزه عن باقي البشر، ويؤكد ذلك ما جاء في سفر نشيد الأناشيد الإصحاح الخامس " 10 حَبِيبِي أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ. مُعْلَمٌ بَيْنَ رَبْوَةٍ. 11 رَأْسُهُ ذَهَبٌ إِبْرِيزٌ. قُصَصُهُ مُسْتَرْسِلَةٌ حَالِكَةٌ كَالْغُرَابِ "[2].

وجاء في التوراة ذكر لعادة من عادات الغراب،التي تتوافق مع التراث العربي والأوروبي، وهي عادة أكْل الغراب للأعين [3]، وكيف أن العيون تنقرها الغربان، جاء في سفر الأمثال الإصحاح الثلاثين " 17 العَيْنُ الْمُسْتَهْزِئَةُ بِأَبِيهَا، وَالْمُحْتَقِرَةُ إِطَاعَةَ أُمِّهَا، تُقَوِّرُهَا غِرْبَانُ الْوَادِي وَتَأْكُلُهَا فِرَاخُ النَّسْرِ "[4].

ولم يقتصر ذكر الغراب على الكتاب المقدس، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم، وتحديداً في سورة المائدة، قال تعالى:" فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ " [5]. إن قصة قابيل وهابيل أو قصة الشر التي وردت في القرآن الكريم، والتي يؤدّي الغراب فيها دوراً مهماً، كانت مجالا لتعليقات المفسرين[6]، جاء في تفسير الطبري أنّه عندما قتل قابيل أخاه هابيل "ترك أخاه في العراء ولا يعلم كيف يدفنه فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما

---

[1] **الكتاب المقدّس**: سفر الملوك الأول 3:17-7، ص 546.

[2] المصدر السابق:سفر نشيد الأناشيد 5: 10-11، ص950 .

[3] يُنظر: العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو ؟** ص103.

[4] **الكتاب المقدس**:سفر الأمثال 30: 17، ص923.

[5] سورة المائدة: الآية 31.

[6] يُنظر: العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو؟**: ص 108.

صاحبه فحفر له ثم حثا عليه " [1]، عندها تعلّم قابيل كيف يواري سوءة أخيه، وفي رواية أخرى " قتل قابيل هابيلَ ثم ندم فضمه إليه حتى أروح و عكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله "[2] ، حينها بعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه وبقي قابيل ينظر حتى جعل الحي يحثي على الميت التراب فعند ذلك قال قابيل يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب[3]، ففي هذه القصّة أدّى الغراب دور المعلّم الذي علّم قابيل كيف يدفن أخاه الميت.

وفي تفسير القرطبي، " بعث الله غرابين فاقتتلا حتى قتل أحدهما صاحبه ثم حفر فدفنه، وكان ابن آدم هذا أول من قُتل، وقيل: إنّ الغراب بحث الأرض على طعامه ليخفيه إلى وقت الحاجة إليه؛ لأنه من عادة الغراب فعل ذلك؛ فتنبّه قابيل بذلك على مواراة أخيه" [4]، والحكمة من إرسال الغراب، ليرى ابن آدم كيفية المواراة، فصار فعل الغراب في المواراة سنّة باقية في الخلق [5].

وليس هناك اختلاف في آراء المفسرين الآخرين حول تفسير هذه الآية، وزاد على هذه التفسيرات تعليل الآلوسي لاختيار الغراب، حيث ذكر في تفسيره روح المعاني " والغراب: طائر معروف، قيل: و الحكمة في كونه المبعوث دون غيره من الحيوان كونه يتشاءم به في الفراق والاغتراب وذلك مناسب لهذه القصة، وقال بعضهم: إنّه كان مَلَكاً ظهر في صورة الغراب"[6].

"وقال القائل، وهو أحد ابني آدم ما قال. فلولا أن للغراب فضيلة وأموراً محمودة، وآلة وسببًا ليس لغيره من جميع الطير لما وضعه الله تعالى في موضع تأديب الناس، ولما جعله

---

(1) الطبري، محمد بن جرير:**جامع البيان في تفسير القرآن**، تحقيق عبد الله بن عبد المسحن التركي، ط1، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والإعلان،2001، ج8، ص341.

(2) الطبري: **جامع البيان في تفسير القرآن**، ج6، ص127.

(3) يُنظر المرجع السابق:ج6، ص127.

(4) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري:**الجامع لأحكام القرآن**،ط3،القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1967مـ، ج6، ص141 .

(5) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج6، ص143.

(6) الآلوسي، محمود شكري: **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**، بيروت، إدارة الطباعة المنبرية،ج6، ص 115.

الواعظ و المذكّر بذلك. فأخبر أنه مبعوث، وأنه هو اختاره من بين جميع الطير[1]"، فهذا الأمر يؤكد ذكاء الغراب.

ورأي الجاحظ في قوله تعالى: " قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ [2]". أنه " لو كان في موضع الغُراب رجل ٌ صالح، أو إنسان عاقل، لما حَسُنَ به أن يقول: يا ويلتى عجزت أن أكون مثل هذا العاقل الفاضل الكريم الشريف وإذا كان دونا وحقيراً فقال أعجزت وأنا إنسان أن أحسَنَ ما يحسنه هذا الطائر، ثم طائر من شرار الطير. وإذا أراه ذلك في طائر أسود محترق، قبيح الشمائل، رديء المشية، ليس من بهائم الطير المحمودة، ولا من سباعها الشريفة، وهو يُعدّ طائرًا يُتنَكدُّ به ويُتَطيّرُ منه، آكل جيف، رديء الصيد. وكلما كان أجهلَ وأنذلَ كان أبلغ في التقريع[3]".

وأدّى الغراب دوْراً مهماً في موضوع البعث من الموت في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، حيث كان أحد أربعة طيور ذبحها إبراهيم عليه السلام بأمر من ربّه، ليريه كيف يحيي الموتى، قال تعالى:" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[4] "

جاء في تفسير الطبري أنّ الأربعة من الطيرهي: الديك، و الطاوس، والغراب، والحمام[5]. وحسب التفسير كان للغراب دور مهم في موضوع البعث والحياة بعد الموت.

أرى من خلال الدراسة السابقة، أن كثيرًا من الأمم القديمة اهتمت بهذا الطائر، اهتمامًا بالغًا، فكان له دور فاعل في معتقداتهم، ورغم التناقض في نظرتهم إليه إلا أنّه حظي باهتمام خاص عند جميع الأمم.

---

(1) الجاحظ، **الحيوان**،ج3، ص411.

(2) **سورة المائدة:** الآية 31.

(3) الجاحظ، **الحيوان**، ج3، ص 411- 412.

(4) **سورة البقرة، الآية** 260.

(5) ينظر :الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن**،ج4، ص 634.

المبحث الثاني

الغراب في الفكر العربي القديم

كان ارتباط الإنسان العربي القديم بالطبيعة ارتباطًا وثيقًا، ما أنشأ علاقة متينة بينه وبين عناصرها، وكان لهذه العناصر تأثير بالغ في حياته ومعتقداته، وكانت الصحراء مرتعاً ومسكنًا له، والنجوم والكواكب زادًا وإلهامًا لشعره، كما كان للحيوانات أثر بالغ في حياته أيضًا، فهي تؤنسه في وحدته، وتعينه في تسيير أمور حياته، وكان لبعضها أثر في معتقدات الإنسان العربي القديم، وقد كانت الطيور بشكل عام والغراب بشكل خاص من الحيوانات ذات التأثير البالغ في معتقده، فالعرب قد تتبعوا صفات الغراب وخصائصه، وهذا يعكس معتقداتهم نحوه؛ فهم قد نعتوه بحدة البصر، وشدة الحذر، وبالزهو وصفاء العيش[1]، وكان هذا الطائر عندهم طائر الفأل بامتياز[2].

وكان للغراب دور بارز في قصص الأنبياء، فهو رسول نوح عليه السلام ، وهو دليل في قصة صالح و ثمود، فقد ورد عن كعب الأحبار في حديثه عن النبي صالح [3]،"وكانت راعوم[4] امرأة كانوة[5] كثيرة البكاء لفقد زوجها، فبينما هي ليلة بكت كثيراً إذ وقع في وسط دارها شيء، فخرجت تنظر ما هو، فإذا هو طائر على هيئة الغراب، رأسه أبيض، وظهره أخضر، وبطنه أسود، وهو أحمر الرجلين والمنقار، وفي عنقه درّة معلقة بسلسلة من ذهب فقالت:أيها الطائر ما أحسن خلقك ! لقد هربت من صاحبك. فقال الطائر: ما هربت من صاحبي ولكنّي الغراب الذي بعثه الله إلى قابيل حين قتل أخاه هابيل فأريته كيف يواري سوءة أخيه، فأما بياض رأسي؛ فإنه شاب لما رأيت قابيل قتل هابيل، وأما حُمرة منقاري ورجلاي؛ فإني غمستها في دم هابيل الشهيد، وأما خضرة ظهري فمن لمس الملائكة والحور العين وأنا من طيور الجنّة،

---

(1) ينظر: الباش، حسن والسهلي، محمد توفيق: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**،ط1،بيروت، دار الجيل، ص305. د.ت.

(2) يُنظر: فهد، توفيق: **الكهانة العربية قبل الإسلام:** ج1، ص349.

(3) عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ص 326 .

(4) راعوم: امرأة كانوة وأم النبي صالح عليه السلام.

(5) كانوة هو والد النبي صالح عليه السلام .

ولكن أتحبين أن أرشدك إلى زوجك كانوة فإني عارف بموضعه، فقالت ومن لي بذلك فقد غاب عني مئة سنة، فقال لا تنكري ذلك فإن الله على كل شيء قدير. فتقلدت بسيف بعلها ثم عمدت تتبع الطائر، فطوى الله لهما البعيد، حتى وصلت إليه وهو نائم، ثم نادى الطائر يا كانوة بن عبيد قم بقدرة الله الذي يحيي العظام، فاستوى قاعدًا، فلما رأى زوجته اعتنقها وسلّم عليها، فألقى الله عليها الشهوة وواقعها، فحملت بصالح، ثم بعث الله إليه ملك الموت وقبض روحه، فمضت رعوم تتبع الطائر حتى أتت بلاد ثمود، فلما كملت شهورها وضعته ليلة الجمعة يوم العاشوراء، قال فلم يزل صالح في مهده يسبّح الله ويقدسّه حتى نشأ وكبر"[1].

يتضح لنا من حكاية أم صالح، أنّ للغراب أدواراً كثيرة في العديد من القصص والأساطير، وقدسيته تجلت بوضوح في كثير من المواقف الدينية.

ومن أدوار الغراب في القصص الدينية، دوره في قصة حفر بئر زمزم حيث كان الدليل الذي أرشد عبد المطلب إلى مكان حفر بئر زمزم، فارتباط الغراب بالماء كانت له جذور قديمة، فهو عند الإغريق كان منبئاً بالعواصف[2]، لذلك تفاءل الناس بالغراب الأعصم لأنه دلّ عبد المطلب على الماء. تروي لنا القصة أنّ عبد المطلب سمع وهو نائم هاتفًا ينادي ويقول: احفر زمزم فلما سمعه عبد المطلب قال: وما زمزم ؟ قال: لا تنزف أبدا، ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل[3]. "فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين أساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما، إنّ هذا المقطع من قصة حفر بئر زمزم قبل الإسلام ليبيّن وظيفة الغراب الأعصم وأنه أشبه بالكاهن، فهو الدليل والمعلّم إنه محمَّل برسالة من وراء حجب الغيب كُلِّفَ عبد المطلب بمقتضاها حفر بئر زمزم "[4]. وعلى ذلك ليس مستبعدًا أن يكون الغراب طائرًا مقدسًا عند العرب قديمًا، كما يرى البعض فهو دليل قابيل كيف يدفن هابيل وهو

---

[1] الكسائي، محمد بن عبد الله: **قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**،طبعة ايزنبرغ بريل، ليدن، 1922، ص112.

[2] ينظر: العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو ؟**، ص115.

[3] ينظر: العلي إبراهيم، **صحيح السيرة النبوية**، ط1،عمان، دار النفائس،1995،ص34.

[4] عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها**، ج1، ص 326.

دليل عبد المطلب على موضع زمزم، ودليل أم النبي صالح على موضع أبيه الميت، بل هو في هذه الأسطورة طير من طيور الجنة موجود منذ الأزل وبداية الخليقة[1].

لكنّ كثيراً من العرب عدّ الغراب طائرًا مشئومًا، ويرتد هذا التشاؤم إلى المهمة التي قام بها في قصة قتل قابيل لأخيه هابيل[2]، بل إنّهم كانوا يضربون الغراب مثلا في الشؤم: فقالوا فلان أشأم من غراب البين، وليس في الأرض بارح و لا نطيح ولا قعيد ولا أعْضب[3] ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه! ويرون أن صياحه أكثر أخباراً وأن الزجر فيه أعم [4] . وقال صاحب الكلب: الغراب من لئام الطير وليس من كرامها، ومن بغاتها وليس من أحرارها، إن أصاب جيفة نال منها وإلا مات هُزالاً، ويتقمّم كما يتقمم بهائم الطير وضعافها، وليس بهيمة لما كان أكله الجيْف، وليس بسبع لعجزه عن الصيد [5]، فهذا الطائر منبوذ عند العرب، وهم يتعايرون بأكل لحمه [6].

اقترن الغراب في أذهان العرب بالشؤم ، لذلك نسجوا حوله في هذا المعنى حكايات شتّى منها حكايته مع نوح [7]ـ وأوردنا تفصيلا لها في المبحث السابق ص21 ـ وحكاية خداعه للديك، فالغراب خدع الديك وتلعّب به[8]؛ ورد في أحاديث العرب"أن الديك كان نديماً للغراب، وأنهما شربا الخمر عند خمار ولم يعطياه شيئاً، فذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شرب، ورهن الديك فخاس به ولم يعد فبقي الديك محبوساً " [9]، اتّصف الغراب في كلا القصتين بالأنانية الخبيثة التي تفرّق بين الجماعة و تباعد بين الأحبة، وقد قرن صاحب المجالسة تسميته غراب

---

[1] ينظر: عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها**، ج1، ص327.

[2] يُنظر: الربّاعي، عبد القادر، **الطير في الشعر الجاهلي**، ص117.

[3] ما استقبلهم من الطير سمّوه نطيحا وما جاء من خلفهم سموه قعيدا وما تياسر منها سموه بارحا ، والأعضب مكسور القرن من الحيوانات.

[4] الآلوسي،محمود شكري، **بلوغ الأَرب في معرفة أحوال العرب**، شرحه يوسف إبراهيم سلّوم، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، 2009، ج2، ص269.

[5] ينظر: الجاحظ: **الحيوان**، ج2، 313-314.

[6] المصدر السابق، ج2، 317.

[7] يُنظر: الربّاعي، عبد القادر: **الطير في الشعر الجاهلي**، ص 118.

[8] الجاحظ: **الحيوان**، ج2، ص319.

[9] المصدر السابق، ج2، ص320.

البين، ببينونته عن نوح عليه السلام، و بينونته عن نوح تشبهها بينونته عن الديك. لقد خاس بالاثنين، واهتم بنفسه قاطعًا بذلك الأسباب التي تربطه بها ومن هنا ربطته العرب بالخيانة"[(1)]. وفي رواية أخرى لأسطورة الغراب والديك،أن الغراب كان له جناح واحد ولا يستطيع الطيران فأخذ جناح الديك وطار به ولم يعد فأصبح الديك من الدواجن لا يستطيع الطيران[(2)].

فالغراب عند العرب القدماء نذير شؤم وبلاء، يتشاءم الناس من نعيبه ومن رؤيته وكأنه ينبئ بالشر، فهو من شرار الطير[(3)]،" وهو طائر الموت بامتياز، قال يعقوب بن السكيت كان أمية بن أبي الصلت في بعض الأيام يشرب فجاء غراب فنعب نعبة فقال له أمية بفيك التراب، ثم نعب أخرى فقال له أمية بفيك التراب، ثم أقبل على أصحابه أتدرون ما يقول هذا الغراب زعم أنّي أشرب هذا الكأس فأموت، وأمارة ذلك أنه يذهب إلى هذا الكوم فيبتلع عظماً فيموت قال: فذهب الغراب إلى الكوْم، فابتلع عظماً فمات، ثم شرب أمية الكأس فمات من حينه "[(4)]، فنعيب الغراب أنبأ بموت أمية، ورؤيته جلبت البلاء والشؤم فهو طائر الموت بحق.

إنّ تنبؤ أمية بن أبي الصلت بما سيصيبه عندما رأى الغراب وسمع نعيبه، يتفق مع الأساطير اليونانية، فعرّافو الإغريق كانوا يستمدون النبوءة من نعيبه، وأمية تنبأ بموته من نعيب الغراب، هذا يُؤكد أنّ المعتقدات الجاهلية ما هي إلا موروث قديم، كان منذ زمن بعيد ولا زال موجودًا عند العرب القدماء، إذ كان له أثره في حياتهم و في أشعارهم.

أما تسميته بغراب البين فقد جاء في كتاب "الحيوان ":" وكل غراب يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم، أمّا غراب البين نفسه فغراب صغير و إنما قيل لكل غراب، غراب البين، لسقوطه في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها "[(5)]، لذلك كره العرب

---

(1) الربّاعي، عبد القادر، **الطير في الشعر الجاهلي**، ص119.
(2) ينظر: عجينة محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ج1، ص299.
(3) ينظر: الجاحظ: **الحيوان**، ج2، ص431.
(4) الدميري: **حياة الحيوان الكبرى**، ج2، ص177 .
(5) الجاحظ، **الحيوان**: ج3، ص431.

رؤية الغراب لأنه يدل على تفرّق الأحبة وبينونتهم عن ديارهم، " فلمّا كان هذا الغراب لا يوجد إلا عند بينونتهم اشتقوا له هذا الاسم من البينونة "[1].

ويقول المقدسي عن الغراب في البين والفراق، في كتابه **كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار** " إنه طائر يكدّر العيش ويفرق بين الأحباب ، يقول: " فبينما أنا في نشوة الخطاب، وسكرة هذا الشراب،إذ سمعت صوت غراب، ينعق بين الأحباب ويفرق بين الأتراب، وينوح نوْحَ المصاب، ويندب ما يجده من أليم العذاب،قد لبس من الحداد جلبابًا ورضي بين العبّاد بتسويد الثياب فناديته: أيها النادب لقد كدرت ما كان صافيا، ومرّرت ما كان حلواً شافياً، فمالي أراك في البكور ساعياً، وعلى الربوع ناعياً، وإلى البين داعياً، وإن رأيت شملاً مجتمعاً، أنذرت بشتاته، وإن رأيت ربعاً مربعاً، بشّرت بدروس عرصاته[2]، فأنت لذي الخليط المعاشر، أشأم من قاشر[3]، وعند اللبيب الحاذر، ألأم من مادر[4]" [5]، يصف المقدسي بدقة حال العرب القدماء عند رؤيتهم الغراب، فهو نذير شؤم و بلاء، يبشّر بفراق الأحبة، وخراب الديار، وقرب الموت، فرؤيته تنغص يوم الإنسان الجاهلي، لذلك كان له دور بارز في التطيّر والزجر و العيافة.

ولشدة بغضهم له عدّوا أكل لحمه عاراً، حتى إنّهم يتعايرون بأكل لحمه، والغربان جنس من الأجناس أُمر بقتلها في الحلِّ والحرم وسميت بالفسق وهي فواسق، اشتقّ لها من اسم إبليس[6].

"ومن العقائد الجاهلية التي كان للغراب دور مهم فيها، الطيرة والتطيُّر، فكان زجر الطير عندهم مبنياً على استجلاء الشرّ أو الخير الذي ينتظر الإنسان، ومن هنا نبعت فكرة

---

[1] الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج2، ص 174.

[2] **عرصاته:** كل بقعة واسعة بين الدور ليس فيها بناء والجمع (العراص) و(العرصات).

[3] **قاشر:** قيل:هو فحل لبعض قبائل العرب استطرقوه رجاء أن يؤنث إبلهم فماتت الأمهات والنسل. فيُقال أشأم من قاشر

[4] **مادر:** لقب مخلوق لئيم من بني هلال بن مالك بن صعصعة، سقى إبله فبقي في الحوض قليل، فسلح فيه، ومدر الحوض به، والسلح هو الغائط.

[5] المقدسي، عزّ الدين بن عبد السلام بن غانم ، **كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار**، حقّقه وعلّق عليه علاء عبد الوهاب محمد، القاهرة، دار الفضيلة، (د،ت)، ص104-105.

[6] ينظر: الجاحظ، **الحيوان**، ج2، ص 317.

التشاؤم والتفاؤل، وقد صنفوا الطير بناء على هذا إلى صنفين: صنف قبيح يوحي بالشؤم، وصنف جميل يوحي بالفأل[1]"، ولعلّ أهم طائر تردّد ذكره كثيراً في مجال الشؤم هو الغراب،يقول الجاحظ:" فالغراب أكثر من جميع ما يتطير به في باب الشؤم، ألا تراهم كلما ذكروا مما يتطيرون به شيئا ذكروا الغراب معه ؟!، وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره، ثمَّ إذا ذكروا كلَّ واحد من هذا الباب لا يمكنهم أن يتطيروا منه إلا من وجه واحد، والغراب كثير المعاني في هذا الباب فهو المقدّم في الشؤم. [2]" فقد كان للغراب النصيب الأكبر عند العرب في عقائد الطيرة والتطيّر والزجر والعيافة[3].

وهناك كثير من القصص والأساطير التي تروي دور الغراب في الطيرة والتطيّر، "ومما يُحكى من زجر الطير أنّ رجلاً من لهب: وهم بطن من العرب يعرفون بالعيافة، خرج في حاجة له، ومعه سِقاءٌ من لبن فسار صدْر يومه فعطش فأناخ ليشربَ فإذا غراب فنَعَبَ فأثار راحلته، ثم سار حتى كان وقت الظهيرة أناخ ليشرب، فنعب الغراب وتمرّغ في التراب، فضرب الرجلُ السِّقاء بسيفه فإذا فيه ثعبان عظيم فقتله، ثم سار فإذا غراب وقع على سدْرة فصاح به فوقع على سلَمة، فصاح به فوقع على صخرة فانتهى إليها، فأثار من تحتها كنزاً فلمّا رجع إلى أبيه قال له ما صنعت ؟ قال سرت صدر يومي فأنخت لأشرب فنعب الغراب ــ فقال أثِرْ راحلتك وإلا لست بابْني ــ قال فعلت ــ قال ثم ماذا ؟ ــ قال سرت حتى وقت الظهيرة فأنخت لأشرب فنعب الغراب وتمرّغ بالتراب ــ قال اضرب السِّقاء وإلا لست بابْني. قال فعلت ؛ فوقع على صخرة ــ قال أثر ما تحتها وإلا لست بابْني قال فعلت ؛ فوجدت كنزاً"[4].

تدلّ هذه الحكاية على أنّ الشاب كان على معرفة و دراية بمعتقد الزجر والعيافة، فأدّى هذا الشاب دور المتكهن لما سيحصل عن طريق حركات الغراب ونعيبه وتمرّغه بالتراب، وهذا التكهّن أدى به في النهاية إلى السلامة من أذى الثعبان، والحصول على كنز ثمين، فلو لم يكن

[1] الربّاعي، عبد القادر، **الطير في الشعر الجاهلي**، ص109.

[2] الجاحظ، **الحيوان**، ج3، ص443.

[3] الزجر والعيافة أن تعتبر بأسماء الطير ومساقطها وأنواعها، فتتفاءل أو تتشاءم، والعائف المتكهن بالطير أو غيرها.

[4] القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر،(د،ت)، ج1، ص399-400.

الشاب على دراية بأحوال الزجر والعيافة، وكيفية التكّهن عن طريق حركات الغراب لَمَا استطاع تفسير هذه الحركات لصالحه، كما أنّ الحكاية تؤكد عناية الآباء تعليم أبنائهم هـذه المعتقـدات والطقوس منذ صغرهم.

ومن الحركات الأكثر شؤما للغراب عند العرب أن ينتف ريشه. فقد رأى لص هـارب من السجن غراباً جاثماً على بانة ينتف ريشه وينعب، فتنبّأ له عرّاف من لهـب بـالعودة إلـى السجن لفترة طويلة ثم موته على الصليب بعد ذلك [1]، يبدو من خلال هذه الحكاية والتي سبقتها، أن لهبًا كانت مختصة بطقوس الزجر والعيافة والتكهن والعرافة.

فالشعور الذي كان يسيطر على العرب القدماء عند رؤية الغراب، هو الشعور بالتشاؤم، لكن الجاحظ يقول في كتابه " والعامّة تتطيّر من الغراب إذا صاح صيحة واحدة، فإذا ثنّى تفاءلت به"[2]، وليس عدد نعقات الغراب وحده هو ما يميز الفأل الحسن من السيئ، وإنما أيضاً مختلف نغماتها، فإنّ غاق وهي صرخة عالية، تنبئ عن فأل سيئ فهي تعني الفراق، في حين أنّ غيـق وهي صرخة صغيرة، تنبئ عن فأل حسن[3]، فعدد نعقات الغراب وكيفية نغماتها لهـا علاقـة بالفأل الحسن والفأل السيئ، هذا من باب الطيرة والتطير، وللطيرة سـمّت العـرب المنهـوش بالسليم، والبرية بالمفازة، وكنّوا الأعمى أبا بصير، والأسود أبا البيضاء وسمّوا الغراب بحـاتم، ولأنّ الغراب حديد البصر قالوا عند خوفهم من عينه الأعور[4] وهذا من الأضّداد عند العرب.

وليس صوت الغراب وحده ما يجلب الشؤم، بل كان للونه نصيب فـي ذلـك أيضًـا، فالعرب كرهت اللون الأسود، والغراب حالك السّواد شديد الاحتراق، ويكون مثله فـي النـاس الزنج فإنهم شرار الخلق تركيباً ومزاجاً[5]، " وكانت تلبية عكّ، إذا خرجوا حجاجاً، قدّموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم فكانا أمام ركبهم. فيقولان:

---

(1) ينظر: فهد، توفيق، **الكهانة العربية قبل الإسلام**، ص349.

(2) الجاحظ، **الحيوان**، ج3، ص 457.

(3) يُنظر: فهد، توفيق، **الكهانة العربية قبل الإسلام**، ص350.

(4) ينظر: الجاحظ، **الحيوان**، ج3، 439.

(5) ينظر:الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج2، ص173.

نحن غرابا عكّ

فتقول عكّ من بعدهما: **عكّ إليك عانية، عبادك اليمانية**

كيما نحجّ الثانية ! "[1]

وكأن القبيلة تقدّم العبدين الأسودين اللذين يشبهان لون الغراب في سوادهما، قربانيْن يعرضان بسوادهما آثام القبيلة، فتَطْهُر أمام الإله بالتطّهر منهما[2]، فالعربي كان يكره اللون الأسود، لذلك شبهت قبيلة عكّ آثامها باللون الأسود، و جسّدتها في عبدين أسودين، وهذان العبدان وصفا سوادهما بسواد الغراب في الترنيمة الجاهلية، فهذا يدلّ على كرههم لهذا اللون الذي يترتب عليه كرههم وبغضهم للغراب ولونه، حتى إنّ الغراب اكتسب هذا اللون بسبب فعل خبيث، " فهو عندما فرّ هاربًا من نوح ولم يعد إليه، دعا عليه نوح فكانت اللعنة سبباً في سواد لونه كما قيل إنّ سبب سواد لونه هو أنّه تقاعس في نجدة الإنسان، و يُعتقد بأنّ الغراب كان في وقت ما أبيض ثم تحوّل إلى اللون الأسود بسبب شقائه أو بسبب اللعنة التي أنزلها به نوح [3]" رأينا كثرة الأساطير والحكايات التي تبيّن سبب سواد الغراب، إلا أن القاسم المشترك بين هذه الأساطير جميعاً، هو أنّ الغراب اكتسب هذا اللون بسبب الأفعال الخبيثة التي قام بها على مرّ العصور.

أما مِشية الغراب فلها أسبابها أيضاً، "قيل في بعض الأساطير إنّ الغراب حاول يوما تقليد مِشية القطاة فلم يعرف وحاول أن يرجع لمشيته الأصلية فنسيَها، وأصبح أقبح الطير مشياً لذلك سمّوه أبا المرقال[4]"، وأورد الدميري في كتابه **حياة الحيوان الكبرى** أبيات شعر توضّح هذه الأسطورة، سنذكرها في الفصل القادم ــ إن شاء الله تعالى ــ، وقيل في سبب مِشيته "إن

---

(1) الكلبي،أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب،**الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا،ط3،القاهرة،دار الكتب المصرية،1995، ص7 .

(2) ينظر: زغريت، خالد، **تجليّات ميثولوجيا الغراب في القصة النسوية** ، مجلة الرافد الإماراتية تصدر عن حكومة الشارقة، العدد 153، مايو، 2010، ص135.

(3) الباش، حسن ؛ والسهيلي، محمد توفيق، **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ص306.

(4) الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج2، ص172.

سليمان الحكيم قد قضى على الغراب أن يظلّ مقيدا بقيد الأبد والقدرة، لذلك لا يُرى الغراب ماشيًا إلا وكأنّ رجليه مقيدتان بقيد ما "[1]، حتى مشيته سببها شقاؤه وثرثرته وخبثه.

فكثير من حركاته بخلاف مِشيته، لها تفسيرات عند العرب تدخل ــ كما ذكرنا ــ في باب الزجر والعيافة والطيرة، حتى إنّهم يشبّهون حركاته عندما يرفع رأسه ويخفضه بهيئة المتعبّد[2]هذا يعني" أن ترنيمة لعنة الغراب معلقة بجناحيه تحلّ ما حلّ، فلم تقو الأزمنة ولا المسافات على تخليص الغراب من اللعنة التي لبس ثوبها"[3]، فهو يتعبّد لكي يتخلص من ثوب هذه اللعنة.

ولم يقتصر كره هذا الطائر و التشاؤم منه على واقع حياة الإنسان العربي وحسب، بل تبعه كره رؤيته في الأحلام أيضًا، فللعرب تفسيرات كثيرة لرؤية الغراب في النوم، كلها تدخل في باب الشؤم،" فالغراب في المنام يدلّ على رجل مخامر غدّار، واقف مع حظ نفسه، وربما دلّ على حرص في المعاش، وربما كان حفّاراً، وممن يستحلّ قتل النفس، وربما دلّ على الحفر في الأرض ودفن الأموات لقوله تعالى، (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض)[4]، وربما دلّ الغراب على الغربة والتشاؤم بالأخبار والغموم والأنكاد وطول السفر على ما يوجب الدعاء عليه من أهله وأقاربه أو سلطانه لسوء تدبيره "[5]، كل هذه التفسيرات لرؤية الغراب في المنام ، تدلنا على أنّه طائر خبيث في واقع الإنسان وأحلامه.

"ورؤية غراب الزرع في النوم تدلّ على ولد الزنا، أما الغراب الأبقع فيدلّ على رجل معجب بنفسه كثير الخلاف وهو من الممسوخ، ومن صاد غرابًا نال مالاً حرامًا في ضيق بمكابدة،ومن رأى الغراب على زرع أو شجر فإنّه شؤم، ومن رأى غراباً في داره فإنّ فاسقًا يخونه في امرأته، ومن رأى غراباً يحدّثه، يُرزق ولداً خبيثاً، ومن رأى كأنّه يأكل لحم غراب

---

(1) الباش، حسن ؛ والسهيلي، محمد توفيق، **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ص306.

(2) يُنظر: عجينة، محمد، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها**، ص327.

(3) زغريت، خالد، **تجليّات ميثولوجيا الغراب النسوية في القصة**، مجلة الرافد، عدد 153، ص135.

(4) سورة المائدة ، الآية 31.

(5) الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج2، ص180.

فإنّه يأخذ مالاً من اللصوص، ومن رأى غراباً على باب الملك فإنّه يجني جنايةً يندم عليها أو يقتل أخاه ثم يندم على ذلك، ومن رأى غراباً خدشه فإنّه يهلك في البرية[1]"،إن رؤية الغراب في النوم يترتب عليها تفسير يجلب الهم والغم لصاحب الرؤية، فالعرب تكره رؤية هذا الطائر حتى في أحلامها.

ومع أنّ الغراب جالب للهمّ ومنذر بالموت والبوار، ومنذر بشتات الأحبّة ويحيط به الشؤم من كل جانب، إلا أنّه بإمكاننا أن نفيد منه ومن أعضاء جسمه كما تروي بعض المعتقدات العربية.

فإذا عُلّق منقاره "على إنسان حُفظ من العين، وكبده تُذهب الغشاوة اكتحالاً، وإذا عُلقَ طحاله على إنسان هيج الشبق، وإذا سُقي إنسان من دمه مع نبيذ أبغض النبيذ حتى لا يرجع يشربه، وبيضه إذا طرح في النور نفع مستعمله، ودمه إذا جفّف وحُشي به البواسير أبرأها، وقلبه ورأسه إذا طُرحا في النبيذ وسقى الإنسان منه من يريد محبته، فإنّ الشارب يحب الساقي محبةً عظيمة، ولحم المطلوق إذا أُكل مشوياً نفع القولنج، ومرارة الغراب إذا طُلي بها إنسان مسحور بطل عن السحر، وإذا غُمس الغراب الأسود بريشه في الخلّ وطُلي به الشعر سوّده"[2]، نستنتج أننا يمكن أن نفيد من بعض أجزاء جسم الغراب في بعض أمور الحياة.

لكن بالرّغم من هذه الاستفادة من أعضاء جسم هذا الطائر إلا أنّه طائر نجس، حرمت جميع الديانات أكل لحمه، فقد جاء في التوراة تحريم صريح لأكل لحم الغراب، والرسول عليه السلام وصفه بالطائر الفاسق كما جاء في كتاب"**الحياة الكبرى للدميري**"، فكيف يُؤكل لحمه بعد وصف رسول الله له بالفاسق[3]؟.

والغراب ليس طائراً عاديًا، فقد حظي بمنزلة بالغة الأهمية عند العرب، وتجلّت هذه الأهمية من خلال ذكره في العديد من الأمثال، فالغراب يضرب فيه المثل، يُقال " أبصر من

---

(1) الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج2،، ص180-181.

(2) المصدر السابق، ص180.

(3) ينظر: المصدر السابق، ج2، ص178.

غراب"، زعم ابن الأعرابي أنّ العرب تسمّي الغراب أعور لأنّه مغمِض أبداً إحدى عينيه مقتصر على إحداهما من قوة بصره، وضُرِبَ المثل في شدة حذر الغراب فقيل " أحذر من غراب"، وذلك أنهم يحكون في رموزهم أنّ الغراب قال لابنه يا بُني إذا رُميت فتلوّص، أي تلوَّ، فقال: يا أبتِ إنّي أتلوَّص قبل أن أُرمى"[1] ،هذا يدلنا على شدة حذر الغراب، ورد عن بعض حكماء الفرس أنّه قال أخذت من كل شيء أحسن ما فيه فقيل ما أخذت من الغراب قال شدة حذره [2]، وقد ضُربَ المثل في شدّة حذر الغراب فقيل: "أيقظ عيناً من غراب"[3] .

وقيل "لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب"[4]، وهذا المثل يدل على استحالة حدوث الشيء أو عدم الرغبة في فعل أمر ما؛ لأنّ الغراب لا يشيب، وقولنا لا نفعل ذلك حتى يشيب الغراب تأكيد على عدم فعل هذا الشيء، وقيل في لونه " أشدُّ سواداً من غراب"[5] ،يُقال هذا المثل لشدة سواد الشيء، كالشَعْرِ مثلاً.

وفي فسق الغراب قيل " أفسق من غراب "[6]، وهذا المثل يدلّ على شدة فسق هذا الطائر، فأعماله أغلبها فسوق ونذالة بدأت من غدره بنوح عليه السلام، كما ضُربَ المثل في صحة بدنه فقيل " أصحّ من غراب "[7]، وفي اعتزازه بنفسه قيل " أزهى من غراب لأنّه إذا مشى لا يزال يختال وينظر إلى نفسه"[8]، ولاختياله في مِشيته" قيل أخْيَلُ من غراب"[9].

والغراب حادّ البصر يبصر بإحدى عينيه ويغمض الثانية،حيث ضُربَ المثل في حدة بصره فقيل" أبصرُ من غراب "، و"أصفى عيناً من غراب "[10] والغراب من أشدّ الطيور بكوراً

---

(1) الميداني: **مجمع الأمثال**، ج1، ص226.

(2) ينظر: الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج2، ص 179.

(3) الميداني، **مجمع الأمثال**، ج2، ص67.

(4) الجاحظ، **الحيوان**، ج3، ص427.

(5) المصدر السابق، ج3، ص 425.

(6) الميداني، **مجمع الأمثال**، ج2، ص90.

(7) الجاحظ، **الحيوان**، ج3، ص421.

(8) الميداني، **مجمع الأمثال**،ج1، ص327.

(9) المصدر السابق، ج1، ص260.

(10) الجاحظ، **الحيوان**، ج3، ص421.

وقيل في ذلك " أبكر من غراب"[1]، ولا يوجد من هو أخبر من الغراب في أنواع التمر فيُقال "وجد تمرة الغراب"[2]، فالغراب ينتقي أجود أنواع التمور ويأكلها، ويرتبط هذا المثل بأسطورة خلق النخلة حيث ساعد الغراب الإله إنكي في خلق النخلة، وبعد خلقها أكل منها أجود تمورها الحلوة، يقال هذا المثل لمن يجد شيئًا نفيسًا.

وقيلت أمثال كثيرة في التشاؤم من الغراب ومنها قولهم" أشأم من غراب أو أشأم من غراب البين "[3] فالعرب كانت أكثر ما تتشاءم، من الغراب ورؤيته، فعندما يتشاءم أحد من شخص معين يقول أشأم من غراب البين أو مثل غراب البين.

كذلك يُضرب بالغراب الأعصم في العزة، فيُقال " أعزّ من الغراب الأعصم ، والأعصم الذي تكون إحدى رجليه بيضاء، قال الرسول الكريم إنّ عائشة في النساء كالغراب الأعصم" [4]، ويُضرب هذا المثل لعزّة وجود الشيء الحسن وقلته.

وفي خصب الأرض، وكثرة خيراتها يُقال " أرض لا يطير غرابها "وهذا يعني أنّ هذه الأرض تبلغ من خصبها أنّه إذا دخلها الغراب لم يخرج منها ؛ لأنّ كل شيء فيها"[5]، وفي ذلك قيل أيضاً "آلف من غراب عقدة، وهي أرض كثيرة النخل لا يطير غرابها هذا قول محمد ابن حبيب وقال ابن الأعرابي: كل أرض ذات خِصْب عقدة، والعقدة من الكلأ: ما يكفي الإبل"[6]، فالغراب كثير الوجود في الأرض الخصبة يعيش فيها ويأكل من ثمراتها.

إنّ اهتمام العرب بهذا الطائر جعل منه مادة غنية لأمثالهم وأشعارهم، فهو ليس كباقي الطيور؛ لأنّه طائر يتمتّع بأبعاد أسطورية تجلت في كثير من طقوسهم وعاداتهم ومعتقداتهم كالزجر والعيافة والطيرة والتطيّر.

---

(1) الميداني، **مجمع الأمثال**، ج1، ص119.

(2) المصدر السابق، ج2، ص 63.

(3) المصدر السابق، ج1 ص381.

(4) المصدر السابق:ج2، ص44.

(5) الجاحظ، **الحيوان**، ج3، ص424.

(6) الميداني، **مجمع الأمثال**،ج1، ص87.

صفوة القول إنّ الغراب طائر أدّى دورًا مهمًا في تراث الأمم القديمة، و اختلفت نظـرة الإنسان إليه من أمّة لأخرى، فهو طائر مقدس عند السومريين،لأنّه خادم للإله مساعد لـه فـي عملية الخلق، وهو رسول المعرفة الذي أرسله نوح عليه السلام، كما أنه طـائر مقـدس عنـد الإغريق والرومان، لكنّ نظرة الإنسان العربي القديم اختلفت تمامًا عن نظرة الإنسان القديم من الأمم الأخرى فهو عند العرب طائر خبيث نجس مشؤوم كريه، كره العرب القدماء رؤيته، لأنّ رؤيته عندهم ؛ تنذر بالموت والبلاء والبوار، و تفرق الأحبة. هذا هو الغراب في الفكر العربي القديم .

الفصل الثانـي

مواضع ورود الغُراب في الشَّعر الجاهليّ

المبحث الأول: الغراب والفراق

المبحث الثاني: الغراب والزجر والعيافة والطيرة والتطيّر

المبحث الثالث: الغراب وأكل الجيف

المبحث الرابع: الغراب في مواضع مختلفة

المبحث الأول

الغراب والفراق

احتلّ الطير مكاناً فسيحًا في فكر الإنسان الجاهلي ومعتقده، وكان له في الشعر الجاهلي أهمية كبرى ؛ لأنّه يشكل بنية أساسية من بنى العقلية الجاهلية وعقيدتها، وكانت نظرة الإنسان الجاهلي للطير نظرة أسطورية تدعو للشؤم والموت حيناً، وتدفع للفأل والحياة حيناً آخر، فأصبح من المهم مناقشة هذا الأمر في شعر ذلك العصر[1].

ويُعدّ الغراب أهم الطيور التي أثرت في حياتهم اليومية ؛ لأنّه يعدُّ طائرًا قبيحًا يوحي بالشؤم، فهو من أكثر الطيور التي تردّد ذكرها في هذا المجال، فنعيبه ينبئ بتفرق الأحبة[2]،ويُعَدُّ الفراق من أهم الموضوعات التي تناولها الشعراء الجاهليون في شعرهم، وارتبط ارتباطًا وثيقًا بالغراب، إذ كان يُعتقد أنّ الغراب سببٌ في تفرّق الأحبة، ورؤيته تنبئ بالموت والبوار والخراب، لذلك أطلقوا عليه اسم غراب البين.

والأغربة من الشعراء الذين أكثروا من استحضار الغراب في شعرهم، لوصف فاجعة الفراق ورحيل الأحبة، متطيرين به، رابطين صورته بجذرها الأسطوري الذي يرمز لما يذهب ولا يعود[3]، حتى صار عندهم رمزاً للتشاؤم والغربة والضياع والموت، فندبوا به الأحبة وتوجعوا على رحيلهم.

وفي ذلك يقول عنترة:

[الكامل]

ظَعَنَ الَّذين فِراقَهُم أَتَوَقَّعُ وَجَرى بِبَينِهِمُ الغُرابُ الأَبقَعُ[4]

---

[1] يُنظر: الرباعي، عبد القادر، **الطير في الشعر الجاهلي**، ص65

[2] ينظر، المرجع السابق، ص115

[3] يُنظر علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، قراءة ميثولوجية**،، ط1، طرابلس الشرق، جروس برس 2001، ص 178.

[4] الأبقع : الغراب في جسمه بياض .

حَــرِقُ الجَنــاحِ كَــأَنَّ لِحيَــي رَأسِــهِ جَلَمـــانُ بِالأَخبـــارِ هَـــشٌّ مولَـــعُ[1]
فَزَجَـــــــرتُهُ ألاّ يُفَــــرِّخَ عُشُّــــهُ أَبَــــداً وَيُصــــبِحَ واحِــــداً يَتَفَجَّــــعُ
إِنَّ الَّذيــنَ نَعَــيتَ لــي بِفِراقِـــهِم هُــم أَسهَــروا لَيلــي التَمامَ فَأَوجَعوا[2]

فعنترة يصوره بهيئة بشعة ومنظر كريه، فهو منسول الريش لا هـم لـه إلا الإنـذار بالأحزان وتفريق الأحبّة[3]: فيقول: ارتحل الذين كنت أتوقع فراقهم، فالغراب الأبقع أنذره برحيل أحبابه، لأنّ هذا الطائر مولع بتفريق الأحبة، وكأنّ فكيه مقص يقطع الأواصر[4].وزجر عنتـرة هذا الغراب ودعا عليه بقطيعة النسل فلا يفرّخ عشّه، وبأن يبقى وحيداً يندب الأهل والأقـارب، لأنّه كان سببًا في بعده عن من أحبّ، فهو سبب الفراق الذي أسهر عنترة أطول ليالي الشتاء[5].

وتجلّى حبّ عنترة لعبلة و لوعته من فراقها بوضوح في كثير من قصائده، حتى صـار بالإمكان دراسة موضوع الفراق عند عنترة بشكل مستقل عن غيره من الموضوعات، وقد أدّى الغراب الدور الأساسي في التعبير عن هذا الفراق؛ لأنّ الغراب رمز من رموزه، بل هو سـبب فيه، ويتضح هذا في أبياته الآتية:

[الوافر]

أُســـائِلُ عَـــن فَتـــاةِ بَنـــي قُـــرادٍ وَعَـــن أَترابِهـــا ذاتِ الجَـــمالِ
وَكَيـــفَ يُجيبُنـــي رَســـمٌ مُحيـــلٌ بَعيـــدٌ لا يَـــرُدُّ عَلـــى سُؤالـــي[6]
إِذا صـــاحَ الغُـــرابُ بِـــهِ شَـــجاني وَأَجـــرى أَدمُعـــي مِثـــلَ اللآلـــي
وَأَخبَرَنـــي بِأَصـــنافِ الرَّزايـــا وَبِالهِـــجرانِ مِـــن بَعـــدِ الوِصـــالِ[7]

---

[1] جلَمان: المقصّ ، هشّ : مسرور.

[2] عنترة: **الديوان:** شرح الخطيب التبريزي:قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، ط1 بيروت، دار الفكر العربي، 1992، ص94.

[3] ينظر: الحاج حسن، حسين، **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998، ص60،(د،ط).

[4] ينظر المرجع السابق ص156.

[5] ينظر: الأعلم الشنتمري، **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر،ص495،(د.ط) ،(د.ت).

[6] محيل: تحوّل من حال إلى حال. الرزايا: المصائب.

[7] عنترة:**الديوان**، ص130.

رحلت عبلة عن الديار، فأصبح عنترة وحيداً بائساً يسأل الأطلال عنها، ولكن هيهات أن يُجيبَ الطلل، هذا الرسم المحيل الذي تحول من حال إلى حال وعندما صاح الغراب بهذه الديار الخالية، ذكّره ذلك بخلاء الديار ورحيل محبوبته عنها، فرؤية الغراب في ديار محبوبته ذكّرتـه بالمصائب والهجران بعد الوصال، وعلى هذا يمكننا اعتبار الغراب رمزًا من رموز الفراق عند عنترة خاصة وعند معظم شعراء العصر الجاهلي بعامة.

ويخاطب عنترة الغراب في باقي أبيات القصيدة قائلاً:

[الوافر]

غُـــرابَ البَـــينِ مـــا لَـــكَ كُـــلَّ يَـــومٍ تُعانِـــدُني وَقَـــد أَشـــغَلتَ بـــالي
كَأَنّـــي قَـــد ذَبَحـــتُ بِحَـــدِّ سَـــيفي فِراخَـــكَ أَو قَنَصـــتُكَ بِالـــحِبالِ
بِـــحَقِّ أَبيـــكَ داوي جُـــرحَ قلبـــي وَرَوِّح نـــارَ سِـــرّي بِالـــمَقالِ
وَخَـــبِّر عَـــن عُبَيلَـــةَ أَيـــنَ حَلَّـــت وَمـــا فَعَلَـــت بِهـــا أَيـــدي اللـــيالي[1]

يظهر عنترة حزيناً ملوّعاً لفراق محبوبته، فغراب البين سبب في هذا، فعنترة يخاطب الغراب قائلا: ما لك تُعاندني أيها الغراب وكأنني يوما قد قتلتُ فراخك بحد سيفي،أو كأني حاولتُ إيذاءك بحبالي، ويستحلفه بأن يُداوي جرح قلبه ويجلب له أخبار محبوبته:أين حلت وماذا فعلت بها الأيام، بدلاً من أن يجلب أخبار الفراق التي اعتاد عليها. وهنا يوجّه عنترة للغراب بأن يغيّر دوره ويتحوّل من منذر بالفراق إلى مبشّر باللقاء.

ويقول عنترة في قصيدة أخرى:

[الطويل]

لِمَن طَـــلَلٌ بِالـــرَقمَتَينِ شَجـــاني وَعاثَـــت بِـــهِ أَيـــدي البِلـــى فَحَكـــاني
وَقَفتُ بِـــهِ وَالشَوقُ يَكـــتُبُ أَســـطُراً بِـــأَقلامِ دَمعـــي فـــي رُســـومِ جَنـــاني

[1] عنترة: **الديوان**، ص130.

أُسائِلُــهُ عَــن عَبــلَةٍ فَأَجابَنــي غُــرابٌ بِــهِ مــا بــي مِــنَ الهَيَمــانِ
يَنوحُ عَلى إِلــفٍ لَــهُ وَإِذا شَــكا شَــكا بِنَحيــبٍ لا بِنُطــقِ لِســانِ
وَيَندُبُ مِن فَــرطِ الجَــوى فَأَجَــبتُهُ بِحَســرَةِ قَلــبٍ دائِــمِ الخَــفَقانِ
أَلا يا غُرابَ البَينِ لَو كُنتَ صــاحِبي قَطَعنــا بِــلادَ اللَــهِ بِالــدَّوَرانِ
عَسى أَن نَرى مِن نَحوِ عَبلَةَ مُخبِــراً بِأَيَّــةِ أَرضٍ أَو بِــأَيِّ مَكــانِ[1]

يقف عنترة كعادة الشعراء الجاهليين على أطلال الأحبة، ويتساءل عن أصحاب هذا الطلل البالي الذي شجاه وأثار حزنه، ويقول بأن البلوى قد حلت بهم، فالشاعر واقف على الطلل حزين القلب باكي العينين، وكله شوق لرؤية الحبيب، وقف عليه ليسأله عن عبلة، فأجابه غرابٌ هائمٌ مثله ينوح على أحبته النائيين ويشكو فراقهم هو أيضاً، فهذا ما يجمع بينهما، ولكن هذا يبكي ويشكو ألمه بلسانه أما ذاك فعاجز عن الكلام فهو يشكو بنحيب لا بنطق لسان.وعنترة هنا يجيبه ويواسيه قائلاً:لو كنت أيها الغراب صاحبي لقطعنا بلاد الله أنا وأنت باحثين عن أحبتنا، عسى أن نجد من يأتينا بأخبار عبلة فنعرف مكانها لنزورها ونطفئ نار أشواقنا، لكن صداقة الغراب لعنترة أمر مستحيل؛ لأنّه دليل الفراق، نجده دائماً في الديار الخالية، فهو علامة من علامات الفراق وموت الديار والبوار، فعنترة هنا يتعاطف مع الغراب، ويتوّحد معه، فهل هذا ناتج عن سواده وأنّه من الأغربة؟. لكنّه يعود إلى معتقده بأنّ هذا الغراب هو غراب بين، فهو ليس صاحبه، لهذا قال له لو كنت صاحبي.

ويؤكد عنترة في البيت الآتي فكرة ارتباط الغراب بالفراق، حتى أنّ عنترة يخاف من صوته لأنه ينبئ بالشتات، يقول عنترة:

[الكامل]

يا عَبلَ كَــم يُشــجى فُــؤادي بِــالنَّوى وَيَروعُنــي صَــوتُ الغُــرابِ الأَســوَدِ[2]

---

(1) عنترة:**الديوان**، ص198.

(2) المصدر السابق، **ص**62.

يتشاءم عنترة دوما لسماع صوت ذلك الغراب الأسود الذي يروعه ويشجي قلبه لأنه ينبئه بفراق عبلة، فالغراب أضحى لصيقا بالفراق في أشعار عنترة، لهذا كره الشاعر الغراب الذي يرمز للفراق والبعاد، فجعله بطلاً لمسرحية الفراق في شعره، وردّد اسمه كثيراً، حتى إن صوته في أذنه أصبح رمزاً للبين، وهذا ما دفعه لأن يشبه نوق القوم الظاعنين بالغربان[1].

يقول عنترة:

[الكامل]

إن كُنتِ أَزمَعتِ الفِراقَ فَإِنَّما   زُمَّتْ رِكابُكُمُ بِلَيلٍ مُظلِمِ[2]

ما راعَني إِلّا حَمولَةُ أَهلِها   وَسْطَ الدِّيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمخِمِ[3]

فيها اثنَتانِ وَأَربَعونَ حَلوبَةً   سوداً كَخافِيَةِ الغُرابِ الأَسحَمِ[4]

إنّ قوة تأثير شرّ الغراب في النفس جعلت الشاعر لا يرى إلا ما يوحي بالفراق أو البين عن الديار، التي شهدت حبه لمن فيها، فموقف الرحيل، راعَ الشاعر وأذهله؛ لذلك تساوى في ذهنه كل ما يشعر به، أو يدلّ عليه. من هنا جاء تشاؤمه بالنوق، ومساواته إياها في هذا الجانب بالغراب، فإن المواقف الشعورية الحادّة التي كان الشاعر الجاهلي يعيشها أحيانا، دفعته لأن يفسّرَ الأشياء تفسيرات خاصة تنسجم مع الجانب الروحي الذي تبنّاه آنذاك. وقد تختلف هذه التفسيرات عما تعهده في الواقع، لهذا نلاحظ أنّ عنترة حين جعل النوق كخافية الغراب الأسود،إنما كان يصف ما في نفسه نحوها ساعة الرحيل، أكثر مما كان يصفها واقعاً[5].

وشبيه بموقف عنترة السابق موقف أبي المورق اللحياني[6] في قوله:

---

(1) ينظر:الرباعي، عبد القادر، **الطير في الشعر الجاهلي**، 115-116

(2) أزمعت: عزمت الرحيل زُمَّت ركابكم بليل مظلم:أي هذا الأمر أحكمتموه بليل.

(3) راعَني: أفزعني، حَمولة بفتح الحاء الإبل، تسفّ: تأكل حب الخِمْخِمْ:تأكلها الإبل لها حبٌّ أسود.

(4) عنترة، **الديوان**، ص.154

(5) ينظر: الرباعي، عبد القادر، **الطير في الشعر الجاهلي**، 116 -117.

(6) ابو المورق اللحياني من قبيلة هذيل وهو من أخوال الرسول عليه السلام، وهو مقل في شعره.

[الوافر]

إذا نَزَلَـــتْ بنـــو ليـــثٍ عكاظـــاً رأيـــتَ علـــى رؤوســـهم الغرابـــا[1]

"فالشاعر لا يرى غرابًا على رؤوس بني ليث، لكنّه أراد أن يعبّر عن تشاؤمه بقــدومهم وأمنيته بشتات شملهم، وقد يكون التفت إلى ازدواج الليث والغراب ليشعر أنّهم لا يستحقون اسمه لأنّ أفعالهم ليست من جنس أفعال الليث، ولهذا كان اسم الغراب والشؤم الذي اقترن به، أولــى بهم من اسم الليث"[2].

فالغراب لا ينبئ برحيل الأحبة من مكان لآخر فحسب، بل إنه قد يكون نذيرًا بــرحيلهم الأبدي، فها هو عنترة يذكر غراب البين في رثائه مالك بن زهير العبسي الذي قتله بنو بــدر، ويسأله إن كان قد علم بوفاة مالك. حيث يقول:

[الطويل]

أَلا يـا غُـرابَ البَـينِ فـي الطَّيَـرانِ أَعِرنـي جَناحـاً قَـد عَـدِمتُ بَنـاني

تُرى هَل عَلِمـتَ اليَـومَ مَقتَـلَ مالِـكٍ وَمَصـرَعَهُ فـي ذِلَّـةٍ وَهَـوانِ

فَـإِن كـانَ حَقّـاً فَـالنُجومُ لِفَقـدِهِ تَغيـبُ وَيَهـوي بَعـدَهُ القَمَـرانِ[3]

يظهر في الأبيات السابقة حزن عنترة لفراق مالك، فجعل الشاعر غراب البين رمزاً لهذا الفراق، وهل هناك أفضل من غراب البين ينبئ بفراق الأحبة، لذلك جعله مدخلاً لقصيدته.

ولم يقتصر موضوع الغراب والفراق في شعر عنترة على الغزل والرثاء فحسب، بــل أدّى الغراب دوراً في الفراق والهجاء أيضاً، ويظهر ذلك في قول عنترة:

---

[1] ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، **التمام في تفسير أشعار هذيل**، مما أغفله أبو سعيد السكري، حقّقه وقدّمه،أحمد ناجي القيسي وآخرون، وراجعه، مصطفى جواد،ط1، بغداد، مطبعة العاني، 1962، ص105.

[2] الرباعي، عبد القادر، الطير في الشعر الجاهلي، ص117.

[3] عنترة،**الديوان**، ص200.

[البسيط]

مــا خـــالدٌ بَعدَما قَــد ســِرتُ طالــِبَهُ بِخالِــــــدٍ لا وَلا الجَيــــــداءُ تَفتَخِـــــرُ[1]
وَلا دِيـــــارُهُمُ بِالأَهــــــلِ آنِســـــةً يَــأوي الغُــرابُ بِهـــا وَالــذِئبُ وَالنَّمِــرُ[2]

استجار عنترة بخالد بن مالك فلم يجره، فحطّ من شأنه و زوجته الجيداء، فعنترة يقول: إنّ دياره خالية من أهلها رغم وجودهم فيها، فهذا نوع من الهجاء كان للغراب دورٌ فيه، لأنّ من صفات الغراب أن يسكن الديار الخالية هو والنمر والذئب.

ومن الصفات التي التصقت بالغراب، أنّه ينبئ برحيل الناس عن ديارهم، فهو دليل على خلاء الديار من أهلها ففي ذلك يقول عنترة:

[الكامل]

يــــا دارُ أَيـــــنَ تَرَحَّـــــلَ السُـــكّانُ وَغَـــدَت بِهِــمْ مِـــنْ بَعــدِنا الأَظعـــانُ
بِـــالأَمسِ كـــانَ بِــكِ الظِّبــاءُ أَوانِســاً وَاليَـــومَ فـــي عَرَصـــاتِكِ الغِربـــانُ [3]

فالشاعر هنا يخاطب الديار ويسألها عن أهلها الراحلين، أين رحلوا وأيـن حلـت بهـم الأظعان، ويقول إن ديارهم كانت بالأمس عامرة بأهلها تأنس بها الظباء، أما اليوم فهي خالية من أهلها لا يوجد في ساحاتها سوى الغربان المشؤومة، فالغربان من صفاتها أنها لا تسكن إلا فـي الأماكن المهجورة، فهي دليل على خراب الديار، وعنترة هنا تنبأ برحيل الساكنين مـن وجـود الغربان في ديارهم.

ويؤكد عنترة هذه الفكرة مرة أخرى فيقول:

[الوافر]

سَلـــوا عَنّا جُهَيَنَـــةَ كَيفَ باتَــت تَـــــهيمُ مِـــنَ المَخـــــافَةِ فـــي رُبـــــاها

---

[1] الجيداء: زوجة خالد بن محارب.

[2] عنترة،**الديوان**، ص80.

[3] عنترة:**الديوان**، ص 195.

رَأَت ظَعنـــــي فَوَلَّـــــت وَاسْـــــتَقَلَّت   وَسُـــــمرُ الخَـــــطِّ تَعمَـــــلُ فـــــي قَفاهـــــا
وَمـــــا أَبقَيـــــتُ فيهـــــا بَعـــــدَ بِشـــــرٍ   سِـــــوى الغِربـــــانِ تَحجُـــــلُ فـــــي فَلاهـــــا[1]

فعنترة في الأبيات السابقة يؤكّد أنّ الغراب دلّ على خلاء الديار من أهلها، لكن ما يميّز هذه الأبيات عن سابقتها أنّ عنترة هو سبب خلاء هذه الديار، لأنّه قتل جميع من فيها، وحلّــت الغربان في هذه الديار الخَربة. إنّ عنترة من أكثر الشعراء الذين جعلوا الغراب لصيقاً بــالفراق في أكثر من موضوع، كفراق الأحبة والهجاء والرثاء، وخراب الديار، فالقاسم المشترك بين هذه الموضوعات جميعاً، هو الغراب. ويحذو النابغة حذو عنترة، في توظيف الغراب فــي أشــعاره التي تعبّر عن الفراق والرحيل عن الديار كقوله:

[الكامل]

أَفِـــدَ التَرَحُّـــلُ غَيـــرَ أَنَّ رِكابَنـــا   لَمّـــا تَـــزُلْ بِرِحالِنـــا وَكَـــأَن قَـــدِ[2]
زَعَـــمَ الغـــراب بـــأَنَّ رِحلَتَنـــا غَـــداً   وَبِـــذاكَ خَبَّرَنـــا الغُـــدافُ الأَســـوَدُ[3]
لا مَرحَبًـــا بِغَـــدٍ وَلا أَهـــلاً بِـــهِ   إِن كـــانَ تَفريـــقُ الأَحـــبَّةِ فـــي غَـــدِ[4]

فالنابغة يؤكّد في الأبيات السابقة فكرة الرحيل والفراق، التي أنبأه بها الغـــراب، وهـــو يحذو حذو عنترة في اختيار الغراب معادلاً موضوعياً للرحيل والفراق، وسبب ذِكْره لـــه، هـــو علاقة اللون الأسود بالتشاؤم فهذا يؤكد فكرة تشاؤمه من الرحيل، فهو لا يرحّب بغـــده كرهـــاً لقرب الفراق.

ويؤكد الأعشى فكرة ارتباط الغراب بالفراق حيث يقول:

[مجزوء الكامل]

وَاعلَـــم بِـــأَنّي لَـــم أُكَـــلْ   ـــــمْ مِثلَهـــا بِصِـــعابِها

---

[1] عنترة، **الديوان**، ص210.

[2] أفِدَ، دنا واقترب، الرحال الإبل.

[3] الغداف الأسود: الغراب الأسود وهناك رواية أخرى للبيت، زعم البوارح.

[4] النابغة الذبياني، **الديوان**، حقّقه واعتنى به حمدو وطمّاس، ط2، بيروت، دار المعرفة، 2005. ص38.

إنّـــــي أَخـــــافُ الصُـــــرمَ مِنـــــــــــــــها أَو شَـــــــحيجَ غُرابِهـــــــا[1]
فَـــــــدَخَلتُ إِذ نـــــــامَ الرَقيـــــــــــبُ فَبِـــــــــــتُّ دونَ ثِيابِهـــــــــــا[2]

ذكر الأعشى الغراب متشائمًا منه لأنّ في سماع صوته ما يؤذن بالفراق وانقضاء الـودّ والصفاء.

وفي الموضوع نفسه يقول عبيد بن الأبرص:

[الكامل]

زَعَـــمَ الأَحِبَّـــةُ أَنَّ رِحلَتَنـــا غَـــداً وَبِـــذاكَ خَبَّرَنـــا الغُـــدافُ الأَســـوَدُ[3]

فالشاعر علم أنّ محبوبته سترحل غدًا، فساءه الخبر و أحزنه، والغراب هو الذي أخبره بهذا الفراق.

ومن الشاعرات اللواتي ربطن بين الغراب والفراق في شعرهن، صـفيّة بنـت ثعلبـة الشيبانية. تقول الحكاية إنّ هند بنت النّعمان كانت فائقـة الجمـال، فأرادهـا كسـرى لنفسـه، فاستجارت هند بصفية وقومها فأجاروها، فأرسل كسرى جيوشه بقيادة قائد عربـي يُقـال لـه منصور، فلمّا علمت صفيّة بأمر منصور وجنوده[4]أنشدت قائلةً:

[البسيط]

قُـــولا لمنصـــور لا دَرَّتْ خلائفـــهُ ما صاحَ فـيهم غـرابُ البـينِ أو نعقـا
يا ويـحَ أمّـك يـا منصـورُ إنّ لنـا خَيلاً كِرامًا تصون الجـارَ مـا علقـا[5]

---

(1) الصُرمَ: القطيعة.

(2) الأعشـى، ميمـون بـن قـيس، الـديوان، شـرح محمـد محمـد حسـين، بيـروت، المكتـب الشـرقي للنشـر والتوزيع،ص253،(د،ط)(د،ت).

(3)عبيد بن الأبرص: **الديوان**، شرح أشرف أحمد عدرة، ط1،بيروت، دار الكتاب العربي، 1994، ص50.

(4) ينظر: يموت، بشير، **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**،ط1،بيروت، المطبعة الوطنية، 1934، ص11.

(5) المرجع السابق، ص 12-13.

فصفية في أبياتها تتمنّى لمنصور وجنوده الشتات، وأن يتفرّق شملهم، وفي نهاية الحكاية انتصر الشيبانيون في هذه المعركة.

وها هو هُدبة بن الخَشرم ينهج نهْج الشعراء السابقين، حيث يربط بين فراق الأحبة والغراب، ويؤكدّ أنّ صوته هو الذي أنبأه بفراق أحبته.يقول:

[الوافر]

أَلا نعَقَ الغُرابُ عَليكَ ظُهرًا   أَلا في فيكَ مِن ذاكَ التُرابُ
يُخَبِّرُنا الغُرابُ بأَنْ ستَتأَى   حَبائِبُنا فقَدتُكَ يا غُرابُ(1)

فهدبة عندما رأى الغراب تنبّأ بفراق أحبابه وفقدانهم ويدخل هذا البيت في باب الطيرة والتطيّر أيضًا، وعدّي بن زيد ربط بين الفراق و غراب البين، يقول(2):

[الطويل]

دَعَا صُرَدٌ يَوْمًا على عودِ شَوْحَطِ   وَصاحَ بذاتِ البَيْنِ مِنْها غُرابُها(3)
فقلت :أتَصْريدٌ وَشَحْطٌ وَغُرْبَة   فهَذا لَعَمْري نأْيُها واغْترابُها(4)

فالشاعر من خلال الأبيات السابقة يوظف موروثا خرافيًا يعبر فيه عن تشاؤم العرب من الغراب، وقولهم غراب البين، فالغراب ينوح وينعق، إذا رأى شملاً مجتمعاً أنذر بشتاته وخرابه(5).

---

(1) هُدْبة بن الخشرم :**شعره**، جمع وتحقيق :يحيى الجبوري، ط2، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع،1986،ص63.

(2) عدي بن زيد العبّادي: **الديوان**، تحقيق: محمد جبّار المعيبد: بغداد: دار الجمهورية للنشر والطبع ، 1965، ص195،(د،ط).

(3) صُرَد:طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار يصيد صغار الحشرات وربما صاد العصفور وكانوا يتشاءمون به. شوْحط: شجر تتغذى منه القسي.

(4) التصريد: قطع الشرب.الشحْط : البعْد.

(5) ينظر: عبد الله، سناء أحمد سليم، **توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2004، ص284.

وسلك الشعراء المخضرمون ذات الطريق التي سلكها الشعراء الجاهليون في ربْط الفراق بغراب البين، فها هو الحطيئة يتّخذُ من بيت عنترة مصدراً للتعبير عن فراق أحبته.

يقول:

[الكامل]

ذَهَبَ الَّذينَ فِراقَهُمْ أَتَوَقَّعُ ... وَجَرى بِبَينِهِمُ الغُرابُ الأَبقَعُ [1]

نلاحظ تأثُّر الحطيئة الشديد بشعر عنترة فهو يكرر البيت ذاته ـ باستثناء الكلمة الأولى فيه ـ، فالحطيئة استبدلها بكلمة أخرى على الوزن نفسه للتعبير عن الموقف ذاته ألا وهو شكوى الفراق الذي كان الغراب نذيرًا به.

ويستمر الشعراء في اتخاذ الغراب رمزا للفراق، فالشمّاخ الذبياني أخافه نعيب الغراب لأنه ينبئ برحيل الأحبّة،حيث يقول:

[الطويل]

ولَمّا رَأَيتُ الدارَ قَفراً تَبادَرَت ... دُموعٌ لِلَومِ العاذِلاتِ سَبوقُ

فَظَلَّ غُرابُ البَينِ مُؤتَبِضَ النَّسا ... لَهُ في دِيارِ الجارَتَينِ نَعيقُ [2]

خَليلَيَّ إِنّي لا تَزالُ تَروعُني ... نَواعِبُ تَبدو للفِراقِ تَسوقُ [3]

فالشاعر عرف قرب الرحيل من نعيب الغراب.

وتذكر خولة بنت الأزور الكندية الغراب في شعرها لكن بطريقة مختلفة، فهي على يقين أنه سبب في الفراق لذلك تستفسر منه عن موعد رجوع الغائبين، تقول:

---

[1] الحطيئة، **ديوانه**، اعتنى به وشرحه،حمدي وطمّاس،ط2، بيروت، دار المعرفة، 2005، ص90.

[2] مؤتبض: منقبض، النسا: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ويُقال للغراب مؤتبض النسا لأنه يحجل كأنّه مأبوض.

[3] الشمّاخ بن ضرار الغطفاني، **الديوان**، شرحه أحمد بن الأمين الشنقيطي، مصر، مطبعة دار السعادة، 1327هـ، ص63.

[الطويل]

أَلا مخبـــــرٌ بعـــــدَ الفـــــراقِ يُخَبِّرُنَـــــا فَمَــــن ذا الّـــذي يـــا قـــوم أَشـــغلكم عنّـــا
فَلَـــو كنـــت أَدري أنّـــه آخـــر اللّقـــا لكُنّـــــا وَقَفنـــــا للـــــوادعِ وَودّعْنـــــا
أَلا يا غراب البينِ هَـل أَنـت مُخبـري فَهـــل بِقـــدومِ الغـــائبينَ تبشّـــرْنا[1]

فهي حزينة لفراق أخيها ضرار، لكنها كانت على يقين أنّه سيتحرر من الأسر في يـوم من الأيام.

لاحظنا من خلال الأشعار الواردة في هذا المبحث أن الغراب مـرتبط بشـكل وثيـق بموضوع فراق الأحبة، وهذا الارتباط لم يقتصر على موضوع الفراق والرحيل وحسب، إنمـا تعدّاه إلى موضوعَي الهجاء والرثاء، وما يميز هذه الأشعار أن بعضها يـدخل فـي موضـوع الزجر والعيافة والطيرة والتطير الذي سيتم بحثه لاحقا.

---

[1]يموت، بشير: **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، ص172 .

المبحث الثاني

الغراب والزجر والعيافة والطيرة والتطيّر

"الزجر والعيافة أن تعتبر بأسماء الطير ومساقطها وأنوائها، فتتفاءل أو تتشاءم، والعائف المتكهن بالطير أو غيره"[1]،" فقد كان الواحد منهم إذا همَّ بأمر لجأ إلى طائر فزجره، أي أشار إليه مطارداً فإن مرّ سانحاً عن يمينه إلى يساره استبشر ومضى في الأمر، وإن مرّ بارحاً عن يساره إلى يمينه، تشاءم وتوقّع الضر"[2]،

وقد شاع في العرب زجر الطير والوحش وإثارتها، فما تيامن منها سمّوه سانحاً وما تياسر سمّوه بارحاً،وما استقبلهم فهو الناطح، وما جاء من خلفهم فهو القعيد[3]، ولم يكن التطيّر بالطيور كلّها وإنما غلب بعضها على بعض، فكان الغراب مصدرًا ثرًا للشعراء في شكله وصوته، وصار رمزًا للشقاء والشؤم ونذيرًا بالفراق والدمار وصورة للخيانة والغربة والاغتراب[4]، يقول الجاحظ:" ليس في الأرض بارح ولا نطيح ولا قعيد ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه "[5] وقد أدّى الغراب دوْراً مهماً في طقس الزجر والعيافة، إذ إنّه كان من الطيور التي وظّفوها في هذا العلم.

ومن الشعراء الذين اشتهروا بالزجر والعيافة، الحسل الهمداني[6]، ففي مرة وقع الحسل في الأسر، فبعث له والده بأخٍ ــ له لم يكن من أمّه يُقال له شاكرــ، في طلبه والبحث عنه، فلمّا دنا شاكر من الأرض التي بها الحسل وكان الحسل عائفاً يزجر الطير، قال:

---

[1] الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**،تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 2005،مادة عَيَفَ .

[2] الحاج حسن، حسين، **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، ص57.

[3] ينظر :الآلوسي، محمود شكري، **نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج3، ص255.

[4] ينظر: جمعة، حسين:**الحيوان في الشعر الجاهلي**،ط2،دمشق،دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر،2010،ص155

[5] الجاحظ: **الحيوان**، ج2، ص316.

[6] الحسل بن حاتم بن عميرة الهمداني أحد شعراء همدان في الجاهلية.

[المتقارب]

تُخَبِّرُنـــــي بِالنَّجـــــاةِ القَطـــــاةُ　　وَقَـــولُ الغُـــرابِ بِهـــا شـــاهِدُ
تَقـــولُ أَلا قَـــد دَنـــا نـــازِحٌ　　فِـــداءٌ لَـــهُ الطِّـــرْفُ والتالِـــدُ
أَخٌ لَـــم تَكُـــن أُمُّنـــا أَمَّـــه　　ولَكِـــن أَبونـــا أَبٌ واحِـــدُ
تَـــدارَكَني رَأفَـــةً حـــاتِمُ　　فَـــنِعمَ المُرَبِّـــبُ وَالوالِـــدُ
تَـــدارَكَني بِـــكَ يـــا شـــاكِرٌ　　ومَـــنَّ بِـــكَ المَلِـــكُ الماجِـــدُ(1)

ثم إنّ شاكراً سأل عنه فأُخبرَ بمكانه فاشتراه ممن أسره بأربعين بعيــراً (2)، فالحســل عرف بقرب نجاته من خلال معرفته بأصول الزجر والعيافة، فاستدلّ على قــدوم شـــاكر مـــن حركات الغراب والقطاة. ويتضح موضوع الزجر والعيافة والطيرة والتطيّر في أبيـــات عنتـــرة التي سبق ذكرها في موضوع الغراب والفراق، يقول عنترة: **[الكامل]**

ظَعَـــنَ الَّـــذينَ فِـــراقَهُمْ أَتَوَقَّـــعُ　　وَجَـــرى بِبَيـــنِهِمُ الغُـــرابُ الأَبقَـــعُ
حَرِقُ الجَنـــاحِ كَـــأَنَّ لِحيَـــي رَأسِـــهِ　　جَلَمـــانُ بِالأَخبـــارِ هَـــشٌّ مولَـــعُ(3)

فعنترة توقّع فراق الأحبة من خلال رؤيته للغراب الأبقع وهو يطير فوق ديار المحبوبة، فهذا نوع من الطيرة.

ومن الشعراء الجاهليين الذين وظّفوا الغراب في موضوع الزجر والعيافة، علقمة ابـــن عبدة الفحل، يقول: **[البسيط]**

وَمَـــن تَعَـــرَّضَ لِلغِربـــانِ يَزجُرُهـــا　　عَلـــى سَـــلامَتِهِ لا بُـــدَّ مَشـــؤومُ
وَكُـــلُّ حِصـــنٍ وَإِن طالَـــت ســـلامَتُهُ　　عَلـــى دَعائِمِـــهِ لا بُـــدَّ مَهـــدومُ(4)

---

(1) ينظر: الآلوسي، محمود شكري، **نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج3، ص256-257.

(2) ينظر المصدر السابق، ج3، ص256-257.

(3) عنترة: **الديوان**، ص94.

(4) علقمة بن عبدة، **الديوان**، شرحه:سعيد نسيب مكارم، ط1، بيروت، دار صادر1996، ص56.

"فقوله يزجرها أي من زجْر الطير أي أطارها، والغربان من الطير التي يُتشاءم بهـا، فمن طاردها وزجرها خوفاً من شؤم يحلّ به، فلا بد أنه واقع في ما يخاف ويحذر ولو سـلم"[1] ويقول الشاعر إنّ الأمور تتغير وتتبدّل من حال إلى حال، فلا شيء يبقى على حاله فعلقمة يؤكد أن الغربان من الطيور التي يتشاءم منها الإنسان الجاهلي، ويخـاف مـن رؤيتهـا وحركاتهـا ونعيبها، لذلك كره الإنسان الجاهلي هذا الطائر، حتى إنّ بعضهم يُصاب بالهلع لرؤيته.

ويقول الأعشى في الموضوع ذاته:

[الرمل]

ما تَعيـفُ اليَـومَ فـي الطَيـرِ الـرَّوَّحْ   مِـن غُـرابِ البَـينِ أَو تَـيسٍ بَـرَح[2]

يدخل هذا البيت في علم الزجر والعيافة، فيقول الأعشى: ما تعيف، أي عـاف الطيـر يعيفها عيافة زجرها، فالشاعر عندما زجر الغراب تشاءم منه ؛ لأنّ الغراب جاء عـن يسـار الشاعر مارّا نحو يمينه فالعرب تتشاءم من ذلك، فالغراب في هذه الحال كـان نـذيراً بالفرقـة والشتات، فتنبأ الشاعر بفراق إياس بن قبيصة الطائي[3].

وزهير بن أبي سُلمى توجّس خيفة حين سمع نعيق غراب وتيقن بتصدّع ذات البين. فهو يقول:

[البسيط]

فعـدِّ عمّـا تـرى، إذْ فـات مَطْبُـهُ   أمسى بـذاك غـرابُ البـين قـد نَعَقـا[4]

فالشاعر يقول اصرف نفسك وهواك عن مطلبك، لأنّ نعيق الغراب أخبره بذلك. فخوف الجاهليين من نعيقه و حركاته، مثل نتف ريشه وغيرها يُعدّ من باب الزجر والعيافة والطيـرة

---

[1] علقمة بن عبدة: **الديوان** ، ص56.

[2] الأعشى، **الديوان**: ص273.

[3] المصدر السابق: ص273.

[4] زهير بن أبي سُلمى، **الديوان**، تحقيق فخر الدين قباوة، ط3، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980مـ، ص69.

والتطيّر، فإذا سمعوه ينعب أو ينتف ريشه أصيبوا بالهلع والخوف ورجعوا دون قضاء حاجتهم. وفي ذلك يقول الحارث بن عمرو الفزاري:

[الطويل]

تُــــدِرُّ وَتَســـتَعوي لَنـــا كُــلَّ كاشِــحٍ   وَمِـــن قَبلِهـــا كُنّـــا نُسَـــمّيكَ عاصِــماً[1]
بِحَمْــدِ إِلَهِــي أَنَّنِـــي لَــم أَكُــن لَهُــم   غُــرابَ شَــمالٍ يَنتِــفُ الــرّيشَ حاتِمـــاً
كَـــأَنَّ عَلَيـــهِ تـــاجَ آلِ مُحَـــرَّقٍ   بِـــأَنْ ضُـــرَّ مَـــولاهُ وَأَصـــبَحَ ســـالِماً [2]

يعاتب الحارث بن عمرو الفزاري حصن بن حذيفة، ويقول له: في الوقت الذي أصبحت تضمر لي العداء، أنا كنت مخلصاً ولم أكن مثل الغراب الذي ينتف ريشه ــ الغراب الذي ينتف ريشه في الزجر والعيافة ينبئ بقرب مصيبة ــ و الذي يجلب الشؤم والغم والمصائب.

ويجمع بعض الشعراء إلى جانب الغراب طيورًا أخرى في تطيرهم، فهذا جرّان العــود يقول:

[الطويل]

جَــرَت يَــومَ رُحنـــا بِالرِّكـــابِ نَزُفُّهـــا   عُقـــابٌ وَشَـــحّاجٌ مِـــنَ الطَّيـــرِ مِتـــيَحُ
فَأَمّـــا العُقـــابُ فَهِـــيَ مِنهـــا عُقوبَـــةٌ   وَأَمّـــا الغُـــرابُ فَالغَريـــبُ المُطَـــوَّحُ[3]

فالشاعر يتطيّر من الغراب والعقاب معاً ويقول: بينما نحن نزفّ الإبل سمعت صــوت غراب فتشاءمتُ منه لأنّه ينبئ بالبعد وبالمصائب، امّا العقاب فمنها العقوبة.

ويوظّف جحيش الهمداني[4] الغراب في موضوع الطيرة والتطيّر بطريقة مختلفة، حيث جعل التطيّر بغراب البين وسيلة للفخر بنفسه، يقول:

---

[1] الكاشح: مضمر العداوة.
[2] السويدي، سلامة عبد الله، **شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية**، ط1، قطر، مطبوعات جامعة قطر، 1987مــ ، ص 313.
[3] جرّان العود النمري، **الديوان**، رواية أبي سعيد السكري،ط1، القاهر، دار الكتب المصرية، 1931مــ، ص3.
[4] جحيش الهمداني : كان راعيًا يرعى الأغنام والابل، وجده رجل وهو رضيع، فربّاه وسماه جحيشا ونسبه إلى قبيلة همدان.

[المتقارب]

أمالِـــــكَ أُمٌّ فَتُــــدْعى لَهـــا وَلا أَنـــتَ ذو والِـــدٍ يُعْـــرَفُ
أَرى الطَّيـــر تخبِرُنـــي أَنَّنـــي جُحَـــيشٌ وَأَنَّ أَبـــي حُرشُـــفُ
يَقـــولُ غـــرابٌ غَـــدا ســـانِحاً وَشـــاهِدُهُ جاهِـــداً يَحلِـــفُ
بِـــأَنّي لِهَمَـــدانَ فـــي غُرِّهـــا وَمـــا أَنـــا جـــافٍ وَلا أَهيـــفُ
وَلَكِنَّنـــي مِـــن كِـــرامِ الرِّجـــالِ إِذا ذُكِـــرَ السَّـــيِّدُ الأَشْـــرَفُ[1]

فرؤية غراب البين سانحاً، أخبرت ناظرها برفعة شرف الشاعر وأنّه من كرام النـاس، فهذا يؤكد تطيّر الناس بالغراب وغيره، فحركاته وصوته ينبئان بالمستقبل، هـذا مسـتمد مـن المعتقدات الإغريقية ــ كما ورد معنا في الفصل الأول ص17ــ.

ويؤكّد عبد الله بن الزبعرى فكرة تنبؤ الغراب بالحوادث، وأنّه لا يخطئ في التنبؤ وذلك من خلال حركاته التي تدخل في علم الزجر والعيافة والطيرة والتطيّر، يقول:

[الرمل]

يـــا غـــرابَ البَـــينِ أَســـمَعتَ فَقُـــل إِنَّمـــا تَنطِـــقُ شَـــيئاً قَـــد فُعِـــل
إِنَّ لِلخَيـــرِ وَلِلشَّـــرِّ مَـــدىً وَكِـــلا ذَلِـــكَ وَجـــهٌ وَقبَـــل[2]

فعندما يطلب الشاعر من غراب البين، أن ينطق بنعيبه فهو على علم ودراية بأنّ نعيب الغراب يبشّر بحوادث المستقبل، هذا واضح في كثير من قصص الزجـر والعيافـة والطيـرة والتطيّر.

ومما يدلّل أيضا على أن الجاهليين كانوا يتشاءمون من رؤية الغراب، ويخيفهم سـماع صوته، ما عبّر عنه قول الشاعر صخر الغيّ:

---

(1) الميداني، **مجمع الأمثال**،ج1،ص334.

(2) عبد الله بن الزبعرى، **الديوان**، تحقيق يحيى الجبوري، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر،1987،ص41.

[الطويل]

يُرَوَّعُ مِـــن صَــوتِ الغُــرابِ فَينتِحـــي   مَسامَ الصُــخورِ فَهْــوَ أَهــرَبُ هـــارِبِ[1]

فالشاعر يؤكد أنّ صوت الغراب يوقع الخوف في النفس، وربما جعل ســامعه يهــرب ويختبئ خوفاً من مصائب آتية.

والغربان تجلب النحس في أي مكان تكون فيه، فعامر بن الطفيل يؤكّـد هـذه الفكــرة فيقول:

[الوافر]

فــــإنّ مقــــالتي مــــا قـــد عَلِمْـــتُمْ   وخيلــــي قـــد يحـــلّ لهــــا النهــــابُ
إذا يَمَّـــــــنَ[2] خَـــــيلاً مُســـــرِعاتٍ   جَـــرى بِنُحـــوسِ طَيـــرِهُمُ الغُـــرابُ
وإنْ مَـــــرَّتْ علـــــى قـــــومٍ أعـــــادٍ   بســـــاحتهم فقـــد خســـروا وخــــابوا[3]

يبيّن عامر بن الطفيل فروسيته وبأسه، فخيله إذا غزت قومًا كان الفوز نصيرًا لها، وكأنّ الغربان طارت بهزيمة الأعداء وقتْلهم، إذ حلّ النحس بينهم[4].

ومن العرب مَنْ أنكر الزجر ونحوه بعقله، وأبطل تأثيره بنظره، وذم مـــن اغتـــرّ بـــه، واعتمد في أمره عليه، وأنكر بعض الشعراء هذا الطقس، وأقدمهم المرقش الأكبر الذي ســاوى بين الأيامن و الأشائم[5] فهو يقول:

---

(1) الهذليون،**الـــديوان** (نسخة مصوّرة عن دار الكتب المصرية)، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشـــر،،1965، القســـم الثاني، ص53.

(2) يممن، قصدن

(3) عامر بن الطفيل، **الديوان**، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، بيروت، دار صادر، 1979، ص21،(د،ط) .

(4) ينظر:جمعة، حسين:**الحيوان في الشعر الجاهلي**، ص162 .

(5) ينظر: الآلوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج3**، ص260-261.

[مجزوء الكامل]

لا يَمْنَعَنَّـــــــكَ مِـــــــنْ بُغـــــــاء   الخيـــــــر تَعقـــــــادُ التمـــــــائمْ
ولا التشـــــــاؤمُ بالعطـــــــا   ـــــــسِ ولا التـــــيمُّن بالمقاســـــمْ
ولقـــــــد غـــــــدوت وكنـــــــت لا   أغـــــدو علـــــى واقٍ وحـــــاتِمْ[1]
فـــــــإذا الأشـــــــائمُ كالأيـــــــا   مـــــن والأيـــــامن كالأشـــــائمْ
وكـــــــــذاكَ لا خيـــــــــرٌ ولا   شـــــرٌّ علـــــى أحـــــد بـــــدائمْ
قـــــد خُـــــطَّ ذلـــــك فـــــي الزُّبـــــو   رِ الأوَّلِيَّـــــاتِ القَـــــدائِمْ[2]

فالمرقّش في هذه الأبيات لا يتشاءم من العطاس والغراب، ولا يهتم لأمـــر الطيـــور إن كانت من الأيامن أو من الأشائم، تبرز في هذه الأبيات النزعة الإيمانية التي يتحلّى بها الشاعر، فهو مؤمن بالقضاء والقدر.

ومن الشعراء الذين أنكروا الزجر واعتقدوا ببطلانه، ولم يهتموا لرؤية الغراب، خُثَيم ابن عدي، يقول: [3]

[الطويل]

وجـــدتُ أبـــاك الحـــرّ بَحْـــرًا بِنَجْـــوَةٍ   بناهـــا لـــه مجـــداً أشَـــمُّ قُمـــاقِمُ
ولـــيسَ بهيَّـــابٍ إذا شَـــدَّ رحلَـــه   يقـــولُ عـــداني اليـــومَ واقٍ وحـــاتِمُ
ولكنـــه يمضـــي علـــى ذاك مُقْـــدِما   إذا صَـــدَّ عـــن تلـــك الهَنـــاتِ الخُثـــارِمُ[4]

يرى الشاعر أنّ الإنسان الشجاع،هو الذي لا يهاب من الغراب، أو من موضوع الزجر والعيافة، فهذا يؤكد أنّ الشاعر نفسه لا يؤمن بالزجر والعيافة، لأنه اعتبر عـــدم الخـــوف مـــن

---

[1] الواقي: طائر يصطاد العصافير، الحاتم: الغراب الأسود.

[2] المرقّشان: المرقش الأكبر، عمرو بن سعد،والمرقش الأصغر عمرو بن حَرمَلة: **الديوان**، تحقيق كارين صادر،ط1، دار صادر، بيروت،،1998، ص76-77.

[3] الجاحظ، **الحيوان**: ج3،ص437.

[4] الخثارم : غليظ الشفة.

الغراب شجاعة، بعكس الشعراء الآخرين الذي أكدوا أنّ زجر الطائر والعودة دون قضاء الحاجة تطيّراً به فيه حكمة، وهو عين الصواب.

وممّن كان ينكر الطيرة ويوصي بذلك، الحارث بن حلّزة حيث يقول:

[السريع]

يـا أَيُّـها المُزمِـعُ ثُـمَّ انثَـنى ... لا يَثنِـكَ الحـازي وَلا الشـاحِجُ[1]
ولا قَعيـدٌ أَعْضَـبٌ قَرنُـهُ ... هـاجَ لَـهُ مِـن مَرتَـعٍ هـائِجُ[2]

يطلب الشاعر من الإنسان الذي عزم على أمر ما، ألاّ يمنعه زاجر الطير أو الكاهن، فيرجع عن حاجته، بل عليه أن يمضي قدماً في حاجته لأن الزجر أو العيافة ما هي إلا عادة جاهلية، لا تؤثر في سير الحياة اليومية.حتى إنّ بعض الشعراء يفتخرون بكفرهم بالزجر والعيافة، ومنهم ربيعة بن مقروم حيث يفتخر بأنّ مقادته إلى الله، فلا يثنيه طير سانح، ولا يعوقه غراب، وهو على مذهب العالية في تشاؤمهم بالسانح[3]، يقول:

[المنسرح]

أَصـبَحَ رَبـي فـي الأَمـرِ يُرشِـدني ... إِذا نَوَيـتُ المَسـيرَ وَالطَّبـا
لا سـانِحٌ مِـن سـوانِحِ الطَيـرِ يُثْـ ... نيـني وَلا ناعِـبٌ إِذا نَعَبـا[4]

فربيعة يفتخر بإيمانه، لأنّه أصبح من المسلمين الذين يؤمنون بالقضاء والقدر، فإيمانه أزاح عنه ثوب المعتقدات الجاهلية، وألبسه ثوب النزعة الإيمانية، فأصبح ممن لا يتأثر بسانح أو بارح أو بغراب ينعب. وزيد الخيل الطائي لم يخف من صوت الغراب ولم يتأثر لسماعه ، يقول:

---

(1) الحازي: زاجر الطير، أو الكاهن، الشاحج: الغراب يشحج بصوته.

(2) الحارث بن حلّزة: **الديوان**،جمعه وحقّقه وشرحه إميل يعقوب، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت،1991، ص64.

(3) ينظر: الحاج حسن، حسين، **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**،ص62.

(4) ربيعة بن مقروم الضبّي،**الديوان**، جمع وتحقيق، تماضر عبد القادر فيّاض حرفوش،ط1، بيروت، دار صادر،1999،ص22.

[الوافر]

وبـــــيّنَ نَعْفُهُـــــنَّ لهـــــم رقيـــــبٌ   أضـــاع ولـــم يَخَـــفْ نعْـــبَ الغـــرابِ[1]

فالشاعر يؤكّد أن الجبل لا يخاف نعْبَ الغراب الذي ينبئ بالفراق والشتات.

كان الغراب من أكثر الطيور التي دخلت في باب الزجر والعيافة والطيرة والتطيّر لأنّه من أهم الطيور التي تشاءموا بها، فنعيبه وحركاته لها دلائل خاصة، يتنبأ الجاهلي من خلالهـا بالمستقبل فمنهم من أطلق العنان لهذا الطقس ومنهم من أنكره ورفضه.

[1]زيد الخيل الطائي، **الديوان**، جمْع ودراسة وتحقيق، صنعة الدكتور أحمد مختار البـرزة، ط1، بيـروت،دار المـأمون للتراث، 1988مـ، ص73، وبيّن نعفهنّ: بدا وظهر والنعف: المرتفع العالي، و مناعف الجبل، شماريخه.

المبحث الثالث

الغراب وأكل الجيف

ومن الصفات التي التصقت بالغراب، أكْله الجيف وأجساد القتلى في المعارك، إذ كان الناس يخافون منه على قتلاهم في الحروب، ووظّف المهلهل بن ربيعة هذا الأمر في الأبيات الآتية، يقول:

[الكامل]

وَابكِينَ مَصرَعَ جيدِهِ مُتَزَمِّلاً ... بِدِمائِهِ فَلَذاكَ ما أَبكاني[1]
فَلَأَترُكَنَّ بِهِ قَبائِلَ تَغلِبٍ ... قَتلى بِكُلِّ قَرارَةٍ وَمَكانِ
قَتلى تُعاوِرُها النُّسورُ أَكُفَّها ... يَنهَشْنَها وَحَواجِلُ الغُربانِ[2]

فالمهلهل يتوعد البكريين ويهدّدهم، فهو عاقد العزم على الثأر لأخيه كليب، حيث يقول إنّه سيملأ الأرض بجثث البكريين، وسيجعل النسور والغربان تأكل من أجسادهم أيضاً، فتركُ أجسادِ القتلى للغربان والنسور لتأكلَ منها، يعتبر أشدَّ عقوبةٍ ممكنةٍ في أيِّ حرب من حروب الجاهليين، فالمهلهل سيعاقب البكريين أشدّ عقاب.

وشبيه بهذا ما قاله عبيد بن الأبرص حين هدّد امرأ القيس:

[الوافر]

أَتوعِدُ أُسرَتي وَتَرَكتَ حُجراً ... يُريغُ سَوادَ عَينَيهِ الغُرابُ[3]

تهدّدنا ونحن الذين قتلنا والدك وتركناه للغراب ينقر عينيه، فهذا أشدّ عقاب لامرئ القيس، ولا يوجد مذلة أكبر من هذه المذلة ؛أن يترك الأعداء جثة والدك في العراء فتنقر عينيه

---

(1) المتزمل: المتلفف.

(2) المهلهل بين ربيعة، **الديوان**، شرح طلال حرب، بيروت، الدار العالمية، 1993مـ، ص84.

(3) عبيد بن الأبرص،**الديوان** ، ص 26.

الغربان، فالغراب هنا آكل لأجساد الموتى، وقد استخدمه الشعراء للتعبير عن شدة عقاب القتلى في الحروب.

وكانت العرب تخاف الغراب لأنّه يأكل ندوب الإبل، لذلك سُمي ابن دأية ــ كما مر معنا سابقاً ص6 ــ يقول خفاف بن ندبة السلمي:

[الوافر]

وَحَتّــــى تَتبَــــع الغِربـــانُ مِنهـــا   نــــدوبَ الرَّحْـــلِ لا تُعـــدي سَـــناما[1]

يؤكد الشاعر، على ظاهرة أكْل الغراب للدبرة إذا ظهرت في ظهر البعير، والإبل تهرب عند رؤية الغربان تقترب منها لتأكل من دبرتها.

وقد وظّف لبيد هذه الظاهرة في حديثه عن حاله بعد أن فقد أبناء عمومته حيث يقول:

[الطويل]

وأَصبَحتُ أَمشي بَعدَ سَلمى بــنِ مالِــكٍ   وَبَعــدَ أَبـــي قَــيسٍ وَعُــروَةَ كَالأَجَــبْ[2]
يَضِـــجُّ إِذا ظِـــلُّ الغُـــرابِ دَنـــا لَـــهُ   حِذارًا عَلى بـــاقي السَناسِـــنِ وَالعَصَـــبْ[3]

فالشاعر بعد أن فقد أبناء عمومته، أصبح يمشي كالبعير الذي في ظهره دبرة، واقتــرب الغراب ليسقط عليها فيأكل دبرته، فالغراب كما قلنا يأكل من سنام البعير إذا كان فيه دبرة.

ومن صفات الغراب أيضًا، أنّه يتبع المسافرين للأكل، وفي ذلك يقول كعب بن زهير:

---

[1] ابن المبارك، محمد:**منتهى الطلب من أشــعار العــرب**،ط1، تحقيــق وشــرح، محمــد نبيــل الطريفي،بيــروت،دار صادر،1999،ج1، ص140.

[2] الأجبّ:الذي يخرج في سنامه دبرة فلا تزال تأكل سنامه حتى يجبّ أي يُقطع، يضجّ الأجب: أي يرغــو إذا دنـــا منــه الغراب يريد أن يسقط عليه، يخاف منه أن يقع عليه فيأكل دبرته، السناسن، رؤوس فقرات الظهر والواحـــدة سنســـنة، إذا نحض اللحم عن الفقار ظهر في كل فقرة سنسنتان ؛ والعصب: العصبة.

[3] لبيد بن ربيعة: **الديوان**،شرح: الطوسي،قدم له ووضع هوامشه حنا نصر الحتي، ط1، بيروت، دار الكتــاب العربــي، 1993مـــ، ص28.

[الطويل]

غُـــرابٌ وَذِئــبٌ يَنظُـــرانِ مَتـــى أَرى   مُنـــاخَ مَبيـــتٍ أَو مَقـــيلاً فَـــأَنزِلُ
أَغـــارا عَلـــى مـــا خَيَّلَــتْ وَكِلاهُمـــا   سَـــيُخلِفُهُ مِنـــي الَّـــذي كـــانَ يَأمُـــلُ[1]

فالذئب والغراب ينتظران مبيت الشاعر أو قيلولته لكي ينالا من الطعـــام أو الشـــراب، وهذه صفة موجودة في معشر الغربان.

والحطيئة يؤكّد هذه الصفة الموجودة في الغربان في قوله:

[الطويل]

وَيُمسي الغُرابُ الأَعوَرُ العَـينِ واقِعـاً   مَعَ الـذِئبِ يَعتَسّـانِ نـاري وَمِفـأَدي[2]

يقول الشاعر إنّ الغراب والذئب يبحثان عن الطعام بالقرب من محل إقامتي، فـــالغراب يلحق المسافر أينما حلّ كي يأكل من بقايا طعامه.

---

(1) كعب بن زهير، **الديوان**،صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه، حنـــا نصـــر الحتي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي،1994مـــ، ص59.

(2) الحطيئة: **الديوان**، ص53. المفأد: المكان الذي يختبز فيه ويشتوى ، يعتسان: يطلبان.

المبحث الرابع

الغراب في مواضع مختلفة

لم يقتصر ورود الغراب في الشعر الجاهلي على موضوعات الفراق و الزجر والعيافة والطيرة والتطيّر، وأكل الجيف وحسب، بل ورد في موضوعات أخرى لكن بشكل أقلّ.

وأول موضوع هو لؤم الغراب وخبثه، يتضح هذا في أسطورة الديك والغراب التي تم ذكرها في الفصل السابق ص28-29، وجسّد أمية بن أبي الصلت هذه الأسطورة في الأبيات الآتية، يقول:

[الطويل]

وَمَرهَنَةٌ عِندَ الغُرابِ حَبيبَةُ ... فَأَوفَيتُ مَرهوناً وَخَلْفاً مُسابِيا[1]

أَدَلَّ عَلَيَّ الديكُ إِنّي كَما تَرى ... فَأَقبِل عَلى شَأني وَهاكَ رِدائِيا

أَمِنتُكَ لا تَلْبَثْ مِنَ الدَّهرِ ساعَةً ... وَلا نِصفَها حَتّى تَؤوبَ مُآبِيا

فَرَدَّ الغُرابُ وَالرِّداءُ يَحوزُهُ ... إِلى الديكِ وَعداً كاذِباً وَأَمانِيا

فَلا تَبتَئِس إِنّي مَعَ الصُبحِ باكِرٌ ... أُوافي غَدًا نَحوَ الحَجيجِ الغَوادِيا

فَلَمّا أَضاءَ الصُبحُ طَرَّبَ صَرخَةً ... أَلا يا غُرابُ هَل سَمِعتَ نِدائِيا

وَأَمّ الغُرابُ يَضرِبُ الأَرضَ كُلَّها ... عَتيقاً وَأَضحى الديكُ في القَيدِ عانِيا

فَذلِكَ مِما أَسهَبَ الخَمرُ لُبَّهُ ... وَنادَمَ نِدماناً مِنَ الطَيرِ غاوِيا

وَما ذاكَ إِلاّ الديكُ شارِبُ خَمرَةٍ ... نَديمُ غُرابٍ لا يَمَلُّ الحَوانِيا[2]

"وصف الشاعر الغراب بالأنانية الخبيثة التي تفرق بين الجماعة، وتباعد بين الأحبة[3]"، فالغراب طائر خبيث لئيم، خان الأمانة فغدر الديك وخاس به ولم يصْدُقْه الوعد.

---

[1] مرهنه: من الرهن، والمسابي من سبا الخمر أي اشتراها.

[2] أمية بن أبي الصلت، **الديوان**، قدّم وعلّق على حواشيه، سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، بيروت، مكتبة دار الحياة،(د،ت)، ص89-90.

[3] الرباعي، عبد القادر، **الطير في الشعر الجاهلي**، ص119.

ويكرر أمية الفكرة نفسها في بيت شعر من قصيدة أخرى حيث يقول:

[الوافر]

بِآيَـــةِ قـــامَ ينطِـــقُ كُـــلُّ شَـــيءٍ   وَخـــانَ أَمانَـــةَ الـــديكِ الغُـــرابُ[1]

وما يؤكّد لؤم هذا الطائر ما جاء في كتاب **حياة الحيوان الكبرى** للدميري مـن الأبيـات التي تقول إنه حاول تقليد مِشية القطاة: **[الكامل]**

أنّ الغـراب وكـان يمشـي مِشـية   فيمـا مضـى مـن سـالف الأجيـال

حسـد القطـاة ورام يمشـي مشـيها   فأصـابه ضـرب مـن العقـال

فأضـلّ مِشـيته وأخطـأ مشـيه   فلـذاك سـمّوهُ أبـا المرقـال[2]

فهذه الأبيات تؤكّد خبث الغراب ولؤمه وحسده للآخرين، والجدير بالذكر أن سبب تسمية الغراب بأبي المرقال جاء من خلال تقليده مِشية القطاة.

وكان ارتباط الغراب بالشيب واضـحاً عنـد شـعراء الجاهليـة، فقـد كـان بيـاض الشعر لونًا مشؤومًا كرهه العرب ونفـروا منـه فـي الرجـل والمـرأة علـى حـد سـواء، فالشيب عيب يشين صاحبه لأنّه ينـذر بـالموت واقتـراب الأجـلْ، والغـراب نـذير شـؤم كذلك، واستخدم الشعراء الغراب في موضوع الشيب للتعبيـر عـن اسـتحالة وقـوع الأمـر، ومن هؤلاء الشعراء النابغة الذبياني حيث يقول:

[الوافر]

فَـإِن يَـكُ عـامِرٌ قَـد قـالَ جَهـلاً   فَـإِنَّ مَظِنَّـةَ الجَهـلِ الشَـبابُ

فَكُـن كَأَبيـكَ أَو كَـأَبي بَـراءٍ   تُوافِقـكَ الحُكومَـةُ وَالصَّـوابُ[3]

وَلا تَـذهَب بِحِلمِـكَ طامِيـاتٌ   مِـنَ الخُـيَلاءِ لَـيسَ لَهُـنَّ بـابُ[4]

---

[1] أمية بن أبي الصلت، **الديوان**، ص21.

[2] الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج2 ، ص 172.قائل الأبيات غير معروف.

[3] أبو براء: عمّ عامر بن الطفيل. الحكومة: الحكم.

[4] الطاميات: جمع طامية وهي المرتفع. الخيلاء: البطر والتكبّر.

فَإِنَّـــكَ سَـــوفَ تَحلُـــمُ أَو تَتَـــاهى إِذا مــــا شِـــبتَ أَو شـــابَ الغُـــرابُ[1]

إنّ عامر بن الطفيل ليس كأبيه أو عمه، ويؤكد استحالة وصوله إلى مرتبتهم مهما حَلُم، ويدعم الشاعر رأيه في ذلك من خلال ذكر شيب الغراب وهو أمر مُحال، فالشاعر أراد هجاء عامر بن الطفيل عن طريق الحطّ من قيمته وقدره.

وظّف النابغة شيب الغراب في هجاء عامر بن الطفيل أما ساعدة بن جؤية فاستخدم شيب الغراب في موضوع آخر ألا وهو الألم من الحب واستحالة اللقاء حيث يقول:

[الكامل]

شـــابَ الغُـــرابُ وَلا فُـــؤادُكَ تـــارِكٌ عهـــد الغَضـــوبِ وَلا عِتابُـــكَ يُعتَـــبُ [2]

يعبّر الشاعر عن قسوة قلب محبوبته حيث يقول:طال عليك الأمر حتى كان ما لا يكون أبداً، وهو شيب الغراب، على سبيل المبالغة لأنّ الغراب لا يشيب، أي أن عتابك في غير طائل[3]، وشاب الغراب ولم يلنْ قلبك بعد، وهذا دليل على استحالة أن يلين قلب الحبيب.

ووظّف المرقّش الأكبر شيب الغراب في موضوع آخر هو البكاء على الشباب، والألم لما أصابه من مشيب[4]:

[الطويل]

فإنْ يُظْعنِ الشَّيْبُ الشَّـــبابَ فَقَـــدْ تُـــرى بـــهِ لِمَّتـــي لـــم يُـــرْمَ عنهـــا غُرابُهـــا [5]

يعبّر الشاعر عن حزنه الشديد لرحيل الشباب وقدوم الشيب، فهو ليس كالغراب الذي لا يشيب.لاحظنا في الأبيات السابقة أنّ الشعراء استخدموا شيب الغراب لكن في موضوعات مختلفة.

---

(1) النابغة ، **الديوان**، ص20-21.

(2) **ديوان الهذليين**، القسم الأول، ص168.

(3) ينظر: الجاحظ، **الحيوان**، ج3، ص427.

(4) المرقشان: **الديوان**، ص44.

(5) المصدر السابق، ص44.

وذكر بعض الشعراء في أشعارهم ما يسمى بغراب الجهل، وكانوا يذكرونه عندما يكبر الرجل ويشيب شعره، فيقال طار غرابه أو أصابه غراب الجهل وفي هذا يقول الأعشى:

[البسيط]

وَمـــا طِلابُــكَ شَــيئاً لَســتَ مُدرِكَـــهُ   إِن كانَ عَنكَ غُرابُ الجَهـلِ قَـد وَقَعـا[1]

إنّ غراب الجهل قد وقع، أي حلّ الكِبَرُ وأصبح جسم الإنسان مريضاً تعباً لا يستطيع تحقيق كل المطالب،وللأعشى أشعار أخرى في الموضوع ذاته حيث يقول:

[المتقارب]

عَلـــى كُـــلِّ حـــالٍ لَـها حـــالَةٌ   وَكُـــلُّ الأَجـــارِيِّ يُجـــرى بِهـــا
فَكَيـــفَ بِـــدَهرٍ خَـــلا ذِكـــرُهُ   وَكَيـــفَ لِـــنَفسٍ بِإِعجابِهـــا
وإذْ لِمَّتـــي[2] كجنـــاح الغُـــدافِ   ترْنـــو الكَعَـــابُ لأَعْجَابِهَـــا[3]

كان شعر الشاعر أسود اللون كجناح الغراب، وكـل الفتيـات قريبـات منـه يعجـبن بلون شعره وجماله، لكن عندما حلّ الكبر ذهب هذا الإعجاب أدراج الرياح.

وفي ذات الموضوع تقول هند بنت معبد بنت أسد:

[الكامل]

أَأُمـيم هَيهـاتِ الصِّـبا ذهـب الصِّـبا   وَأَطــارَ عنّــي الحلـمَ جهـلُ غرابــي[4]

تتأسف الشاعرة على شبابها، حيث إنّ غراب الجهل قد طار حِلمها، أي أنّ الصـبا قـد رحل وحل مكانه الشيب والكبر، فغراب الجهل يعني غراب الشباب، نقول طار غراب فلان أي زاد عمره وشاب شعره.

---

[1] الأعشى، **الديوان**، ص 101.

[2] اللّمة: الشعر الذي جاوز شحمة الأذن.

[3] الأعشى، **الديوان: ص**171.

[4] يموت، بشير، **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، ص28.

وقد ورد ذكر الغراب في حديث الشعراء عن اللوّن، فكثير من الشعراء استخدموا لــون الغراب، للتعبير عن شؤمهم تارةً أو الإعجاب بلونه تارة أخرى، ومن الشعراء الذين تشــاءموا من لون الغراب الشاعر عنترة العبْسي حيث يقول:

[الكامل]

يا عَبلَ كَــم يُشْــجى فُــؤادي بِــالنَوى وَيَروعُنـــي صَــوتُ الغُــرابِ الأَســوَدِ[1]

فعنترة هنا لا يتحدّث عن اللون الأسود فقط، بل جاء اللون هنا في سياق الحديث عــن الصوت الذي روّعه،واختار الشاعر هذا اللون لارتباطه بالخوف والشؤم، والفراق الذي ســيطر على عنترة نتيجة لبعده عن محبوبته، لذلك عنترة كره هذا اللون، فكثير من الناس عاير عنتــرة بلونه لكنّه يرد عليهم فيقول:

[المتقارب]

فَـــإِن تَـــكُ أُمّـــي غُرابيَّـــةً مِـــنَ اَبنـــاءِ حـــامٍ بِهـــا عِبتَنـــي
فَـــإِنّي لَطيـــفٌ بِبـــيضِ الظُبـــى وَسُـــمرِ العَـــوالي إِذا جِئتَنـــي[2]
وَلَـــولا فِـــرارُكَ يَـــومَ الـــوَغى لَقُـــدتُكَ فـــي الحَـــربِ أَو قُـــدتَني[3]

فعنترة يردّ على كل من احتقره، من خلال لونه الأسود المشؤوم، فهو أعاد الاعتبار لنفسه ونفى الغرابية عنه وعن أمّه من خلال شجاعته،فالشاعر كره هذا اللون كما كرهه باقي الشعراء السود الذين يسمون الأغربة من باب الشؤم بهم واحتقارهم.

ويربط عنترة اللون الأسود بالخصب في الأبيات الآتية فيقول:

[الكامل]

فيهـــا اِثنَتـــانِ وَأَربَعـــونَ حَلوبَـــةً ســـوداً كَخافِيَـــةِ الغُـــرابِ الأَســـحَمِ[4]

---

[1] **عنترة: الديوان، ص**62.

[2] الظبى:ج الظبة، وهي حدّ السيف، العوالي:الرماح.

[3] عنترة: **الديوان**، ص201.

[4] المصدر السابق: ص154.

وقد ذكر سوادها دون سائر الألوان لأنها أنفس الإبل وأعزها عندهم وبذلك وصف رهط عشيقته بالغنى والتمول[1]، فالنوق السوداء تشبه الغراب الأسود، إذ ارتبط اللون الأسود عند العرب بالخصب، فقالوا عن العراق سواد العراق لخصبه، واللون الأخضر رمز الخصب يميل إلى الأسود، وسواد الإبل دليل خصوبتها، فعنترة يحاول أن يزيل قناعة الجاهليين وتشاؤمهم باللون الأسود، مبيّنًا لهم أنّ الإبل الخصبة لونها أسود، كما يمكن للعبد الأسود، أن يكون عاملاً مهمًا في المجتمع يفيده ويدافع عنه، كما الإبل السوداء المخصبة.

وما يؤكد ارتباط الغراب بالخصب قولْهم "أرض لا يطير غرابها"[2] وفي ذلك يقول النابغة الذبياني:

[الكامل]

ولِرَهْطِ حرّابٍ[3] وقدٍ سورَةٌ　　في المجدِ ليس غرابُها بمُطارِ[4]

"يعني أنّ هذه الأرض تبلغ خصبها أنّه إذا دخلها الغراب لم يخرج منها؛لأنّ كل شيء موجود فيها"[5].

ومن الشعراء من أطلق على اللون الأسود اسم اللون الغربيب، للتعبير عن شدة السواد وذلك نسبة للون الغراب الأسود، وفي ذلك يقول امرؤ القيس:

[البسيط]

والماءُ منهمرٌ، والشّدُّ منْحَدِرُ　　وَالقُصْبُ مُضْطَمِرُ[6]، واللون غربيبُ[7]

---

(1) ينظر: الزوزني، أبو عبد الله الحسين: **شرح المعلقات السبع**، ط4، دمشق، دار الحكمة، 1980، ص111.

(2) الجاحظ، **الحيوان**،ج3،ص424.

(3) حرّاب وقد: رجلان من بني أسد، السورة المكانة الرفيعة والفضيلة.

(4) النابغة الذبياني: **الديوان**:ص56.

(5) الجاحظ، الحيوان، ج3، ص424.

(6) القصْب: الخصر ، المضطمر: ضامر.

(7) امرؤ القيس، **الديوان**:شرح عبد الرحمن المصطاوي،ط2، بيروت،دار المعرفة، 2004، ص81.

فالشاعر يمدح فرسه شديدة السواد، ذات اللون الغربيب (الأسود) للفخر بها.

كما وظّف سلامة بن جندل اللون الغربيب[1]:

[البسيط]

لَيسَت مِنَ الـــزُلِّ أَردافـــاً إِذا انصَـــرَفَت   وَلا القِصـــارِ وَلا الســـودِ العَناكيـــبِ[2]

إِنّي رَأَيـــتُ ابنَـــةَ السَّـــعدِيِّ حـــينَ رَأَت   شَيبي وَما خلَّ مِـــن جِســـمي وَتَحنيبـــي[3]

تَقـــولُ حـــينَ رَأَت رَأســـي وَلِمَّتُـــهُ   شَـــمطاءُ بَعـــدَ بَهـــيمِ اللَـــونِ غِربيـــبِ[4]

وَلِلشَّـــبابِ إِذا دامَـــت بَشاشَـــتُهُ   وُدُّ القُلـــوبِ مِـــنَ البـــيضِ الرَعابيـــبِ[5]

فالشاعر حزين لما حلّ به من الكبر،فأصبح جسمه هزيلاً فشعره الأسود الغربيب الـــذي تحبّه النساء وتنجذب إليه أصبح أبيضَ، فكان سبباً في الهجر والبعد.

واستخدم الشمّاخ اللون الغربيب نسبة لسواد الغراب في شعره حيث يقول:

[الطويل]

وَلَـــودَيْنِ لِلبَـــيضِ الهِجـــانِ وَحالِـــكٌ   مِـــنَ اللَـــونِ غِربيـــبٌ بَهِـــيمٌ عَلاهُمـــا[6]

فلم يجد الشاعر أفضل من لون الغراب الأسود، ليصف موضع القدر الأسود.

وفي موضوع آخر استخدم الشاعر زيد الخيل الطائي لون الغرابِ الأسود للتعبير عـــن إعجابه بفرسه الأصيلة حيث يقول:

---

(1) سلامة بن جندل، **الديوان**: صنعة محمد بن الحسن الأحول،تحقيق فخر الدين قباوة، ط2، بيروت،دار الكتـــب العلميـــة، 1987، ص223-224.

(2) الزل: مفردها الزلاء وهي الرسحاء التي لا لحم على مؤخرتها. العناكيب جمع عنكب: وهي المرأة القصيرة الضعيفة.

(3) خلّ الرجل خلولا إذا تغير من هزال. والتحنيب أصله من إعوجاج في قوائم الخيل ويُقال شيخ محنّب أي: منحن.

(4) الشمط أصله الاختلاط. البهيم: الذي لا يختلط به شية.

(5) الرعابيب:جمع رعبوبة وهي الجارية الحسناء الرطبة الحلوة.

(6) الشمّاخ، **الديوان**:ص88.

[الوافر]

جَلَبنا كُلَّ طِرْفٍ أعوَجِيٍّ   وَسَلهَبَةٍ كَخافِيَةِ[1] الغُرابِ[2]

فالشاعر معجب بسرعة فرسه وبعظامها الطويلة، ونعومة جسدها ولونها الأسود الذي يشبه سواد لون ريش الغراب، متباهياً أنّها من أنجب الخيول وأفضلها وأجملها.

ومن الموضوعات التي ورد فيها ذكر للغراب،الهجاء، حيث اتخذ الشعراء من لؤم هذا الطائر وتشاؤم الناس به مثالاً لشؤم المهجو فخلعوا على مهجويهم (الذي هجوهم) أوصاف الغراب وطباعه، فهذا حسّان يصف الحارث بن هشام بالمومس، ويشبه مشيته القبيحة بمشية الغراب فيقول:

[الكامل]

أَجمَعتُ أَنَّكَ أَنتَ أَلأَمُ مَن مَشى   في فُحشِ مومِسَةٍ[3] وَزَوْكِ غُرابِ[4]

وهذا عوف بن الخرع ينهج نهْج حسّان فيهجو صفي بن ثابت ويصفه بالغراب فيقول:

[الطويل]

وَلَكِنَّنِي أَهجو صَفِيَّ بنَ ثَابِتٍ   مُثَبَّجَةً[5] لاقَت مِنَ الطَّيرِ حاتِمَا[6]

ويصف لبيد بن ربيعة العامري ضمرة بن ضمرة فيقول: :

---

(1) طِرْف:فرس نفيس، أعوجي:أصيل نسبة إلى أعوج فرس تُنسب على الخيل الجياد.السلهبة:الفرس الجسيمة الطويلة العظام، الخافية واحدة من الخوافي: ريشات إذا ضمّ الطائر جناحيه خفيت.

(2) زيد الخيل الطائي، **الديوان** ، ص73.

(3) المومس: المرأة الفاجرة: والزوك مشي الغراب وهو الخطو المتقارب في تحرّك جسد الإنسان الماشي وزاك في مِشيته يزوك زوْكاً حرّك منكبيه وإليتيه وفرّج بين رجليه وهي مشية قبيحة.

(4) حسّان بن ثابت، **الديوان**، شرح محمد نصر الله، بيروت، دار إحياء التراث العربي،ص38، د.ط، د، ت.

(5) المثبّجة: بفتح الباء، البوم، حاتم: الغراب.

(6) الأصمعي،أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك: **الأصمعيات**، تحقيق أحمد محمد شاكر،عبد السلام هارون، ط5، بيروت لبنان، ص169.

[الرجز]

يــا ضَــمرَ يــا عَبــدَ بَنــي كِــلابِ
يـــا أَيـــرَ كَلـــبٍ عَلِـــقٍ بِبـــابِ
تَمكو(1) اِســتَهُ مِــن حَــذَرِ الغُــرابِ(2)

كان ضمرة بن ضمرة بن جابر من سادة بني نهشل، وقد انحاز إلى جانب الربيــع بــن زياد بعد أن رجز به لبيد، وأفسد عليه نفس صاحبه النعمان، وكان ضمرة هذا أبرصَ، وأســره بنو كلاب ومنّوا عليه بالإطلاق فلما انحاز إلى جانب الربيع(3)، هجاه وقال إنّه عبد لبني كلاب، وإنّه يصيح من شدة الخوف، لأنّه خائف على إسته من الغراب إذا كان في إسته دَبَرة، واختــار الشاعر الأست بالذات ليهين ضمرة إهانة عظيمة.

وورد ذكر الغراب في الحديث عن صفاء الماء أو صفاء العين، واتخذوا من عينه مثلا أعلى في ذلك، وفي صفو عين الغراب يقول أبو الطمحان القيني:

[الطويل]

إِذا شاءَ راعيهــا اِســتَقى مِــن وَقيعَــةٍ   كَعَــينِ الغُــرابِ صَــفوُها لَــم يُكَــدِّرِ(4)

(1) تمكو: تصيح من شدة الخوف.

(2) لبيد بن ربيعة العامري،**الديوان**، ص58.

(3) المصدر السابق، ص58.

(4) الأصفهاني،أبو الفرج: **الأغاني**، بيروت، دار الفكر للجميع،1970،ج11،ص134،(د،ط) .

الفصل الثالث

صورة الغراب في الشعر الجاهليّ

مدخل: الصورة الفنية

المبحث الأول: الغراب وأثره في تشكيل عناصر الصورة في الشعر الجاهلي

المبحث الثاني: أبعاد صورة الغراب ودلالتها في الشعر الجاهلي

الفصل الثالث

صورة الغراب في الشعر الجاهليّ

مدخل: الصورة الفنية

تعدّ الصورة الفنية عنصرًا مهمًا من عناصر التعبير الشعري، لما تحمله بين طياتها من صيغ فنية رمزية ارتكز عليها الشاعر الجاهلي في تصويره للبيئة المحيطة به، فضلاً عن كونها من الأدوات المفضلة والوسائل الراقية التي جنح لها لتجسيم معانيه، وإظهار عواطفه، وتقريب أفكاره، وجعلها شاخصة للعيان من خلال الألفاظ التي يسخرها(1).

فهي الجوهر الثابت والدائم في الشعر، والاهتمام بها يظلّ قائمًا ما دام هناك شعراء، ومن شأن الشعراء الإبداع، ومن ثمَّ يتناول إنتاجهم نقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه والحكمَ عليه(2).

فالشاعر لا يستطيع أن يكون بمنأىً عن الصورة الفنية في عملية الخلق الشعري، كونها جوهر العمل الشعري وأساسه، فهي" جزء حيوي في عملية الخلق الفني" (3).

وأدت الطبيعة دورًا مهمًا وأساسيًا في عقد الصلة بين الصورة الفنية وبين عملية الخلق الشعري، فقد كان تأثيرها بارزًا في شعر الشاعر وصوره الفنية، إذ حرص على استرضائها، وتحقيق الانسجام معها، فنسج الأساطير حولها وعكسها على صوره الفنية، يقول الدكتور مصطفى ناصف: "الصورة إدراك أسطوري تنعقد فيه الصلة بين الإنسان والطبيعة، ويريد الشاعر أن يجعل من الطبيعة ذاتًا وأن يجعل من الذات طبيعة خارجة "(4) فهي حاضرة في وعيه وروحه باستمرار.

---

(1) ينظر: عصفور،جابر :**الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، ط1 ، القاهرة، دار الثقافة1974 ، ص265 .

(2) ينظر: الزواوي، خالد محمد، **الصورة الفنية عند النابغة الذبياني**،ط1، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، 1992، ص1.

(3) أبو ديب، كمال :**جدلية الخفاء والتجلي**، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1982 ص29 .

(4) ناصف، مصطفى :**الصورة الأدبية**، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981، ص7.

إن أهمية الصورة الفنية تنبع في قدرتها على إبعاد الشعر عن الجمود، ووهبه مرونة كبيرة، يستطيع الشاعر تشكيلها كيف يشاء، ويرسم معالمها كيفما يريد، فهي في نسيجها الشعري لا تطرح أمامنا منظورًا واحدًا، بقدر ما تهبنا كثرة من المساقط التي تتيح للموضوع مرونة يتغير في سياقها النظام المعتاد للعلاقات(1).

ومما لا شك فيه أن الصورة الفنية ببنائها اللغوي وما تحمل بين طياتها من خيال واسع،شكلت خير معبر عن عواطف الشاعر الجاهلي وأفكاره، معتمدة على الحواس، وقائمة على التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو الرمز(2)، حيث أدت دورًا كبيرًا في رسم خارطة حياة الإنسان الجاهلي في معيشته وحياته فصوّرت واقعه تصويرًا دقيقًا، حيث اعتمد عليها في التعريف بما يحيط به من وقائع خلقتها طبيعة حياته القاسية (3).

وكان للغراب حضورٌ كبيرٌ في شعر الشاعر الجاهلي، شأنه شأن الكثير من عناصر الطبيعة؛ وقد شكل الغراب في أشعارهم مصدرًا خصبًا للصورة الشعرية بصفته عنصراً من عناصر الطبيعة المحيطة من حوله، إذ ساهم في تشكيل العديد من صورهم الفنيّة.

ومن الواضح في نصوصهم الشعرية، أن استخدام الغراب في معظم الأحيان، كان يعبر عن تشاؤم الشاعر الجاهلي أو شعوره بقرب الفراق، فأثّر هذا في عواطفه وانفعالاته وأفكاره تجاه الأشياء المحيطة به. ويبدو من خلال الوقوف على نصوصهم الشعرية أيضا أن الشاعر الجاهلي استطاع توظيف ما ترسخ في ذهنه من معتقدات، حول الغراب، في خدمة صوره الفنية، مما أضفى عليها بعدًا شعوريًا خاصًا، ينسجم مع موقف الشاعر منها، إذ ساعدت على إبراز الغراب بصفته عنصرًا من عناصر الصورة.

---

(1) ينظر: نصر، عاطف جودة :**الخيال مفهوماته ووظائفه**، ط1 ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص 228.

(2) ينظر : اشتية، فؤاد يوسف إسماعيل: **القمر في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف إحسان الديك،جامعة النجاح الوطنية، 2010، ص108 .

(3) ينظر:عبد الرحمن، إبراهيم :**الشعر الجاهلي**، قضاياه الفنية والموضوعية، ط1 ، بيروت، دار النهضة، العربية، 1980، ص187.

المبحث الأول

الغراب وأثره في تشكيل عناصر الصورة في الشعر الجاهلي

1. اللون

أدى اللون دورًا فاعلا في رسم صورة الغراب في الشعر الجاهلي بصفته وسيلة جوهرية من وسائل التعبير الفني، التي أسهمت في تجسيد المعنى وتعميقه .وغالبًا ما يتخذ الشاعر من لون الغراب وسيلة في رسم صوره الشعرية، التي يلونها بألوان أحاسيسه ومشاعر تجسد شعوره وتعكسه على الآخرين.

ويبدو أن الشاعر الجاهلي قد استخدم اللون استخدامًا رمزيًا، حيث أصبحت صوره صورًا بصرية، عكست الحالة النفسية التي يحملها تجاه الأشياء، فقد " أدرك الشاعر الجاهلي خاصية الألوان، وأدرك قدرتها على التعبير فاستعملها استعمالا موفقًا، واستخدم منها ما كان متوافقًا مع أحواله وظروفه النفسية"[1]

يقول النابغة:

[الكامل]

مِنَ آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أَو مُغتَدِ ... عَجلانَ ذا زادٍ وَغَيرَ مُزَوَّدِ
أَفِدَ التَرَجُّلُ غَيرَ أَنَّ رِكابَنا ... لَمّا تَزُل بِرِحالِنا وَكَأَن قَدِ
زَعَمَ الغراب بأَنَّ رِحلَتَنا غَدا ... وَبِذاكَ خَبَّرَنا الغُدافُ الأَسوَدُ
لا مَرحَباً بِغَدٍ وَلا أَهلاً بِهِ ... إِن كانَ تَفريقُ الأَحِبَّةِ في غَدِ[2]

يصوّر الشاعر مشهد فراق أحبته، فهم عازمون على الرحيل، وما يؤكد قرب هذا الرحيل عند النابغة استخدامه للفعل زعم بمعنى شَهِدَ[3]، فالغراب شاهد على واقعة الرحيل،

---

[1] القيسي، نوري حمودي: **دراسات في الشعر الجاهلي**، ط1،بغداد، مطبعة الإرشاد، 1972، ص162 .

[2] النابغة الذبياني: **الديوان**: ص38.

[3] ابن منظور:**لسان العرب**: مادة زعم.

ويوظّف الشاعر اللون الأسود، لأنّه يريد أن يؤكد أنّ لعنة الغراب تكمن في سواده، وكأنّ هـذه اللعنة التي حطت على الغراب فسوّدت لونه ما زالت تنتقل منه إلى الناس، فتنـذرهم بالرحيـل والتفرق، وتعطي شعورًا بعدم الثقة في اللقاء مرة أخرى، فالصورة بذلك توحّد لا شعوريًا بـين ريش الغراب الأسود السابغ، وبين كل ما يحول بين الشاعر ومحبوبته، فيصبح كل ما يفرق بينه وبين محبوبته أسود(غرابًا)، يغدو القناع الذي يغطي وجه محبوبته غرابًا، والهودج الذي يكنّهـا غراباً، والناقة التي تحملها غرابًا، وبذلك تتّحد كل قوى السواد الغرابية، لتنذر بالفراق والتشتّت والغربة [1].

ولون الغراب الأسود سبّب لعنترة الهموم والقطيعة مع محبوبته يقول عنترة فـي هـذه اللوحة الشعرية التالية:

[الكامل]

إن كُنـتِ أَزمَعـتِ الفِـراقَ فَإِنَّمـا   زُمَّـت رِكـابُكُمُ بِلَـيلٍ مُـظلِمِ
مـا راعَنـي إِلّـا حَمولَـةُ أَهلِهـا   وَسْـطَ الـدِيارِ تَسَـفُّ حَـبَّ الخِمخِـم
فيهـا اِثنَتـانِ وَأَربَعـونَ حَلوبَـةً   سـوداً كَخافِيَـةِ الغُـرابِ الأَسـحَمِ[2]

نحن أمام لوحة فنية مليئة بالسواد، فرحيل القوم بليل أسود مظلم، وهذه الحمولة تأكـل حبّ الخمخم الأسود، والنوق أيضا سوداء، و لون الغراب أسود، فالشاعر جعل صورته الفنيـة شديدة السواد، لأنّه حزين على فراق أحبته ولأنّ اللون الأسود لونه أيضًا، فهـذا اللـون كـان ملازمًا لعنترة، لصيقا به.

وقد اختار عنترة اللون الأسود للإبل دون سائر الألوان ؛ لأنها أنفس الإبـل وأعزهـا عندهم، ووصف رهط عشيقته بالغنى و التموّل[3] " يقول الدكتور إبراهيم محمد علـي: ولكننـا

---

[1] ينظر: محمد علي، إبراهيم، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**،، قراءة ميثولوجية، ط1، طرابلس، جروس بـرس، 2001،ص180-181.

[2] عنترة، **الديوان**، ص154.

[3] ينظر: الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد،**شرح المعلقات السبع**، ص204-205.

عندما نمعن النظر في هذه الأبيات، ونعيد قراءتها في ضوء تحليلنا للوحدة الميثية: (السواد، الفراق، الغراب) فلن نقبل بشرح الزوزني وغيره، فلا علاقة بين تجربة عنترة ومعاني الغنى والنفاسة والثراء، عند عبلة وقومها، بل ربما كان فقر عبلة أدعى لاقترابها منه، واقترابه منها، ورضى قومها عنه، وما فات الزوزني وغيره من الشارحين هو ربط الصورة بجذورها الأولى، فالسواد يملأ الأبيات، وهذا اللون يحتل مساحة كبيرة من شعر عنترة، ويرتبط هذا اللون بتجربة عنترة ومأساته، وظلّ السواد قضية عنترة ولعنته، بسببه أبعده أبوه واستعبده، وطرده أهل عبلة ورفضوه، وإذا كان السواد الحقيقي لإبعاد عبلة عنه فليكن كل ما يساعد على هذا الإبعاد أسْود كذلك، ولتكن النوق التي يرحل عليها أهلها سوداء، لا لغنى أهلها وثرائهم، وإنّما للتوحيد بين قوى الشرّ والضياع، و إكسابها جميعًا هذا اللون (المأساة)، اللون الأسود(1).

أضف إلى ذلك أنّ العرب كانوا يطلقون على عبيدهم السود اسم (أغربة) ؛ مما يجعل لدى عنترة حساسية خاصة تجاه هذه الكلمة، كأنّه يرى أنّ لونه الغرابي هو سبب مأساته، وهو سبب رحيل عبلة، مع ملاحظة أنّ اللون الأسود يسيطر على اللوحة منذ البيت الأول، الذي يجعل هذا الرحيل في ليل أسود مظلم، وفي البيت الثاني حيث تسف النوق حبّ (الخمخم) وهو حبّ أسود أيضًا، ويختم اللوحة بلون الغراب الأسود، الذي يعدُّ رمزاً أسطورياُ مشحونًا بالدلالات وكأنّ عنترة يجمع مأساته كلها في هذا السواد، الذي يبدو في النوق وفي خلفية الصورة (2).

ويتضح هذا الأمر في أبيات أخرى لعنترة منها قوله:

[الكامل]

يا عَبلَ كَم يُشجى فُؤادي بِالنَوى وَيَروعُني صَوتُ الغُرابِ الأَسوَدِ(3)

فالبيت السابق يصوّر لنا عنترة الحزين الخائف المترقب لفراق أحبته، وذلك بسبب سماعه صوت الغراب، واستخدم الشاعر هنا اللون الأسود؛ لأنّ الإنسان كان يخاف من هذا

(1) ينظر: محمد علي، إبراهيم، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص182.

(2) ينظر: المرجع السابق ص182-183.

(3) عنترة:**الديوان، ص**62.

اللون لما فيه من دلالات تشاؤمية، فهو لون الحداد، لون الفراق، لون الموت، لون العالم السفلي، فهذا اللون مناسب لكلمة يروعني، لأنّ هذا اللون قرين بالخوف.فهذه الصورة تعتبـــر صـــورة سمعية ، بصرية.

ويذكر عنترة في أبيات أخرى الغراب الأبقع وهو الذي فيه بياض وسواد، للدلالة علـــى الفراق أيضًا يقول:

[الكامل]

ظَعَـــنَ الَّـــذينَ فَـــراقَهُم أَتَوَقَّـــعُ وَجَـــرى بِبَيـــنِهِمُ الغُـــرابُ الأَبقَـــعُ[1]

يؤكّد الشاعر سفر أحبته ورحيلهم، وذلك من خلال استخدامه للفعل ظَعَنَ، كما اســتخدم لون الغراب الأبقع ليدمج اللون الأسود بالأبيض، فاللون الأسود لون الموت والعــالم الســفلي، والأبيض لون الحياة والنور والإشراق والخصب، و اجتماعهما يمثّل قوة هائلة، أراد بها التأكيد على حزنه على هذا الفراق، وأمنيته لعبلة بالحياة المليئة بالخصب والإشراق، فــاللون الأســود يمثل حداده وحزنه على فراق عبلة، والأبيض يمثل أمنياته بالتوفيق لها.

وفي ذات الموضوع يقول الحطيئة:

[الكامل]

ذَهَـــبَ الَّـــذينَ فِـــراقَهُم أَتَوَقَّـــعُ وَجَـــرى بِبَيـــنِهِمُ الغُـــرابُ الأَبقَـــعُ [2]

شكّل لون الغراب عنصرًا رئيسًا من عناصر الصورة الفنية في الأبيـــات الســـابقة، إذ أضفى على الصورة نوعًا من السوداوية والتشاؤم، فزادها عمقًا وحزنًا على فراق الأحبّـــة، لأنّ الرحيل شيء مؤلم ومحزن أتعب جميع الشعراء، فاختاروا الغراب الأسود رمزًا مـــن رمـــوز الفراق وجعلوه عنصرًا هامًّا في تشكيل صورهم.

---

(1) عنترة: **الديوان**، ص94.

(2) الحطيئة: **الديوان**، ص90.

ومن الصور المكرورة في الشعر الجاهلي، والتي كان الغراب الأسود عنصرًا رئيسًا فيها أيضًا، صورة تربط بين الغراب والشيب، فالعرب تعبّر عن الشيب بقولها طار غراب الرأس. يقول المرقّش الأكبر:

[الطويل]

فإنْ يُظْعنِ الشَّيْبُ الشَّبابَ فَقَدْ تُرى ... بهِ لِمَّتي لم يُرْمَ عنها غُرابُها [1]

كان البياض في الشعر لونًا مشئومًا كرهه العرب ونفروا منه، فهل كان هناك ارتباط بين لون الغراب والشيب؟ أم كان هناك تضادّ؟، فأقول إنّ الارتباط جاء من خلال النظرة التشاؤمية لكلا اللونين، فالعرب كرهت لون الغراب كما كرهت لون الشيب، و هناك ارتباط آخر وهو أنّ الغراب نذير بالفراق، والشيب نذير بقرب فراق هذه الدنيا،، فهم لا يقولون مثلاً للشباب "بقي غراب فلان " بل يقولون لمن شاب شعره " طار غرابه "، والصورة بذلك لا تحمل معاني الخصب والحياة والقوة (سواد الشعر)، إنّما تحمل معاني عدم الثقة في ذلك (السواد الغراب)، الذي سيذهب ولن يعود، تاركاً وراءه الآلام والأسى، كما فعل الغراب في الأساطير الأولى[2]، فاللون الأبيض واللون الأسود في هذه الصورة اتّحدا في معنى واحد وهو قرب الفراق.

ويخدم لون الغراب الصورة الفنية في أبيات امرئ القيس، حيث رسم لنا الشاعر لوحة فنية رائعة الجمال لفرسه، يقول:

[البسيط]

قد أشهدُ الغارة الشعْواءَ تحْمِلُني ... جَرْدَاءُ مَعْروقَةُ اللحييَنِ سُرْحُوبُ[3]
كأن صاحِبَها، إذا قام يُلْجِمُهَا ... مَغْدٌ على بَكْرَةٍ زوْراءَ، مَنْضُوبُ[4]
إذا تبصّرَها الراؤون، مقبلةً ... لاحت لهم غُرَّةٌ مِنْها، وتجْبيبُ[5]

---

(1) المرقشان، **الديوان**: ص44.

(2) محمد علي، إبراهيم، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**،ص183.

(3) الغارة الشعواء:المعركة الحامية. معروقة: قليلة اللحم،. سرحوب طويلة.

(4) مغْدٌ: نوع من الأشجار. بكْرة الناقة.

(5) تجبيب: من جيب الفرس .

وقافُهــــا ضَــــرِمٌ، وجريُهــــا جَــــذِمٌ   ولحمُهــــا زِيَــــمٌ، والــــبطن مقْبــــوبُ[1]
وَاليَــدُ ســـابِحَةٌ، والرجـــل ضـــارجةٌ   وَالعـــيْنُ قادِحَـــةٌ،وَالمتْنُ ملْحُـــوبُ[2]
والمــــاءُ منهمــــرٌ، والشّــــدُّ منْحَــــدِرُ   وَالقُصْبُ مُضْـطَمِرُ، واللــون غربيــبُ[3]

يتكئ الشاعر على اللون الأسود/ الغربيب ليرسم صورة مخيفة لفرســه،وهي تخــوض أعتى المعارك، حيث وصفها بصفات شتّى، فهي قليلة اللحم، طويلة، سريعة الركض، ضــامرة البطن، لتتشابك كلُّها مع بعضها بعضًا، ليحدث القتل الأسود في الأعداء، ويشتبك سواد الفــرس مع سواد فعله/ القتل، لإحداث الشؤم والخوف والرهبة في الأعداء كما يفعل الغراب.

ويؤدي اللون الأسود دورًا بارزًا في صورة غرابي عك، حيث تتوالد الصورة اللونيــة المتكئة على الدلالات السابقة للون الأسود[4].

تقول الترنيمة الشعائرية: **نحن غرابا عكّ**

فتقول عكّ من بعدهما: **عكّ إليك عانية، عبادك اليمانية**

كيما نحجّ الثانية ! "[5]

إن العبدين ــ في هذه الترنيمة الشعائرية ــ يتوحّدان مع الغراب، فالعبــدان حمــلا أو حُمّلا آثام القبيلة وخطاياها، حتى اسودّ جسداهما، وعلى الإله أن يغفر ويسامح بعد أن رأى آثار لعنته على هذين العبدين / الغرابين[6].

كان للون الغراب الأسود أثره في الصورة الفنية، إذ زاد من عمقها وقوة وقعها في نفس المتلقي الجاهلي، لأنّ اللون الأسود له الأثر البالغ في نفس الشاعر، فهو لون المــوت والحــزن والفراق ولون العالم السفلي.

---

[1] جذم: سريع. زيم: مكتنز. مقبوب ضامر.
[2] ضارجة: نافحة. قادحة: غائرة. ملْحوبُ:أملس.
[3] امرؤ القيس:**الديوان**،ص81.
[4] محمد علي، إبراهيم: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**،ص 193.
[5] الكلبي: **الأصنام**، ص 7.
[6] ينظر: محمد علي، إبراهيم، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 194.

2. الصوت

"الصوت هو الجرس، والنّداء،والدعاء، والصياح، والجلبة، والضوضاء، والذِكْر، وكل ضربٍ من الغناء"[1]، فهل كان للصوت دور في التمييز بين الصورة الفنية واللوحة الفنية؟، نعم هذا مؤّكد، فاللوحة الفنية عجماء صمّاء، أما الصورة الفنية تتكلّم وذلك عن طريق بروز الصوت فيها.

كان لصوت الغراب أثره في الصورة الفنية عند الشعراء، فكان لنعيبه أثر واضح في تشكيلها، لأنّه نذير شؤم وفراق لمن نحب، وصوته شديد الوطأة على روح العربي، كان يهرب منه، ويتحاشى سماعه لأنّه شؤم وبلاء لا مردّ منه[2]، لذلك كرهت العرب نعيبه " وكان العامّة من العرب تتطيّر من الغراب إذا صاح صيحة واحدة، فإذا ثنّى تفاءلت به، وقيل إذا صاح الغراب مرتين فهو شر، فإن صاح ثلاث مرات فهو خير،على قدر عدد الحروف،أي عدد حروف كلمة خير وشرّ "[3].

يتطيّر الشعراء من صوت الغراب كما تطيّروا من سواده، ويثير صوته فيهم أعلى درجات الاستنفار، وحالات الشؤم، ينذرهم بالقادم المشؤوم وما اسودّ من الأمور، فانظر إلى عنترة وهو يقول :

[الكامل]

فَزَجَرتُهُ أَلّا يُفَرِّخَ عُشُّهُ   أَبَداً وَيُصبِحَ واحِداً يَتَفَجَّعُ
إِنَّ الَّذينَ نَعَبتَ لي بِفِراقِهِم   هُم أَسهَروا لَيلي التَمامَ فَأَوجَعوا[4]

نحن أمام صورة فنية مليئة بالحزن والأسى، فالشاعر يسهر أطول الليالي، حزينًا مهمومًا، وذلك لسماع صوت الغراب، ويبرز الصوت في هذه اللوحة من خلال الفعل نعب

---

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**: مادة (صوت).

(2) ينظر:الباش، حسن، والسهلي، محمد توفيق،**المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ص308.

(3) المرجع السابق: ص308.

(4) عنترة، **الديوان**، ص 94.

بمعنى "صوّت، وقيل مد عنُقَهُ، وحرّك رأسه في صياحه"[1]، فهل يدلّ مدّ العنق على شدة الصياح وشدة وقعه في النفس؟، كما أنّ حروف الفعل نعب كلها أصوات مجهورة[2]، وهذا يعطيها قوة في أذن السامع، ويحشد عنترة في هذه الصورة أصواتًا عدة يختلط مع بعضها بعضًا، لتعبّر عن اختلاط المشاعر السوداء، فهناك النزوح والصياح والنعيب والتفجّع والتوجّع التي أدت إلى سهر تمام ليله خوفًا من الفراق، ولهذا فلا غرابة أن يربط عنترة بين صياح الغراب، وصياحه أو بكائه شجوّا وحزنًا حيث يقول:

[الوافر]

إِذا صاحَ الغُرابُ بِهِ شَجاني　　　وَأَجرى أَدمُعي مِثلَ اللَآلي[3]

صياح الغراب جعل عنترة يبكي، لأنّه على يقين بأن هذا الصوت يخبره بفراق محبوبته، فجاء الشاعر بالفعل صاح للتعبير عن شدة مأساته،" لأنّه من الصياح: الصوت؛ وفي التهذيب: صوت كل شيء إذا اشتدّ صاح يصيح صيْحة وصِياحًا وصُياحًا وصيّح: صوّت بأقصى صوته"[4]. فالشاعر استخدم هذا الفعل دون سواه للدلالة على شدة وقعه في النفس، لأنّه مرتبط بالبكاء على الميت، فالصوت كان سببًا في البكاء خدم الصورة الفنية المؤلمة التي عبّر عنها عنترة.

وها هي صفية الشيبانية توظّف صوت الغراب المشؤوم للتعبير عن سوء حالها والدعوة على ما لم يسرع لإنقاذها بقولها:

[البسيط]

قُولا لمنصور لا درّت خلائفه　　　ما صاحَ فيهم غرابُ البينِ أو نعقا

---

[1] ابن منظور، **اللسان**: مادة نعب.

[2] ينظر: عمر، أحمد مختار: **دراسة الصوت اللغوي**،(د،ط)،القاهرة، عالم الكتب،1997، ص324.

[3] عنترة،**الديوان**، ص130.

[4] ابن منظور،**لسان العرب**، مادة صيح.

يا ويــحَ أمّــك يــا منصــور إنّ لنــا   خَيلاً كِراماً تصون الجــارَ مــا علقــا[1]

فتأتي بالفعل صاح ثم الفعل نعق، وتسندهما إلى الغراب رمز الشؤم، ثم تتبعهما بعبــارة تعبّر عن صياحها في قولها " يا ويح " كأنّها دعوة مشؤومة تشبه شؤم صوت الغراب، فيخــتلط صوتها بصوت الغراب ليكونا ترنيمة سحرية صوتية تحدث في النفس أحداثًا لا يمكن حــدوثها من غير الصوت.

إن توظيف الشعراء للفعل صاح في الأبيات السابقة،له علاقة وثيقة بالفراق، فالصــياح عادة ما يكون فيه نبرة قوية للتعبير عن أحزان وأهوال واقعة في النفس، كالحزن علــى فــراق الميت أو فراق أعزّ الأحباب، فاستخدام هذا الفعل يتناسب مع صــوت الغــراب، لأنّ صــوت الغراب نذير شؤم وبلاء وكذلك الصياح في الأعمّ الأغلب.

ويوظّف الشعراء أسماء أصوات الغراب للتعبير عن خوالجهم، فيســتخدم هُدْبــة بــن الخَشرم النعيق، الذي هو أعلى درجة من النعيب، صوتًا ودلالة فيقول:

[الوافر]

أَلا نعَــقَ الغُــرابُ عَليــكَ ظُهــراً   أَلا فــي فيــكَ مِــن ذاكَ التُــرابُ
يُخَبِّرُنــا الغُــرابُ بــأَن ســتَنأَى   حَبائِبُنــا فَقَــدتُكَ يــا غُــرابُ[2]

إنّ تحديد الشاعر لزمن الصوت (ظهرًا) إظهار لقوته حيث جاء زمن السكينة، والقيلولة عند العرب ليكون وقعه في أذن السامع أشدّ وأقوى، واختياره للفظة (نعق) بأصواتها الثلاث التي تملأ الفم، وتصلها السمع، جعله يدعو على الغراب،بأن يمتلئ فمه الذي أصدر هــذا الصــوت بالتراب حتى لا يقدر على النعيق الذي اعتبره الشاعر رسالةً قوليةً تخبره بالنأي.

ويوظّف الشمّاخ الغطفاني صوت النعيق ليجلي صورته الفنية في الأبيات التالية حيــث يقول:

---

[1] يموت بشير، **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، ص 12-13.

[2] هُدْبة بن الخَشرم، **شعره**، ص63.

[الطويل]

وَلَمّـا رَأَيـتُ الـدارَ قَفـراً تَبـادَرَت دُمـوعٌ لِلَـومِ العـاذِلاتِ سَـبوقُ
فَظَـلَّ غُـرابُ البَـينِ مُـؤتَبِضَ النَسـا لَـهُ فـي دِيـارِ الجـارَتَينِ نَعيـقُ
خَليلَـيَّ إِنّـي لا تَـزالُ تَروعُنـي نَواعِـبُ تَبـدو لِلفِـراقِ تَسـوقُ[1]

نحن أمام صورة فنية غاية في الروعة والجمال، حيث يربط الشاعر بين حالته المليئة بالروع والخوف فأبكته وشدّت عروقه من شدة البكاء، وبين حال الغراب مؤتبض النسا من شدّة ضغطه على جسده لإخراج صوت عال هو النعيق، الذي انتشر في أرجاء الديار فولّد القفر فيها وأنزل دمع الشاعر عليها.

ويوظف عنترة الصوت المعلن للغراب ومن غير تحديد نوعه ليعبّر عن حالة الرّوْع الممتدة الواسعة التي يعاني منها فيقول:

[الكامل]

يا عَبلَ كَـم يُشـجى فُـؤادي بِـالنَوى وَيَروعُنـي صَـوتُ الغُـرابِ الأَسـوَدِ[2]

إن الشاعر يقف على أطلال محبوبته حزين القلب خائفًا مترقبًا وكأنّه يراقب كاهنًا (الغراب) يرتل التراتيل الدينية، ولم يحدّد الشاعر نوع هذا الصوت، أهو نعيق أم نعيب أم صياح؟، فهذا لا يعني الشاعر في شيء، ذلك لأنّ هذه الأصوات لو اجتمعت كلّها لا تعبّر عن حالته المليئة بالخوف والمعاناة التي يعيش فيها.

نلاحظ أنّ الشعراء اهتموا كثيرًا بصوت الغراب واعتمدوا عليه في رسم صور سمعية عمادها هذا الصوت ليعبّروا من خلالها على حالاتهم وأحوالهم، وكأنّنا نسمع هذه الأصوات بنعيقها ونعيبها.

---

(1) الشمّاخ بن ضرار الغطفاني، **الديوان**، ص63.

(2) عنترة: **الديوان، ص**62.

3. الحركة

"الحركةُ ضدُّ السكون وضدُّ الموت، يُقال فلان ميمون الْعَرِيكة والحَرِيَكةِ، والحريك الذي يضْعُفُ خصرُه إذا مشى كأنّه ينقلِعُ عن الأرض، والأنثى حريكة، والغلام الحرك هو الخفيف الذكي"(1)،فالحركة ضدّ الكسل والخمول.

"وأبرز سمة للصورة البصرية الجاهلية هي الحركة، فكل شيء في التصوير الجاهلي يكاد يظهر متحركًا: فالناقة تُصَوَّرُ وهي تشق بمناسمها البيد، والخيول وهي مغيرة أو في طراد وراء القوانص، وبقر الوحش يظل في قتال مع الكلاب، و تُصَوَّرُ الطيور وهي تعلو وتهبط"(2)، فتُعتبر الحركة عنصرًا مهمًا من عناصر الصورة الفنية، فالحركة وهي التي تميزها عن اللوحة الفنية، لأنّ الرسّام يرسم لنا حركة واحدة من خلال لقطة معينة للشيء المصوَّر،أما الشاعر فمن خلال الكلمة الواحدة يعطينا لقطات متعددة لحركة ما يصوّرها فيبعثها فيه حيًا أمام أعيننا.

والغراب من الطير، وأكثر ما يميّز الطير في الذهن الجاهلي قدرته على الحركة والوصول إلى الأماكن القصيّة النائية التي يصعب على الإنسان الوصول إليها بسرعة، وكذلك الارتفاع إلى عنان السماء والهبوط إلى الأودية، فالغراب يعلو ويهبط ويطير يمينًا وشمالاً، ولحركته هذه تأثيرها العميق في نفس الشاعر الجاهلي لأنّها دخلت في باب الطيرة والتطير فحركته أثرت في تصرفات كثير من الشعراء الجاهليين، فنرى بعضهم يعود يمضي في حاجته إذا رأى غرابًا سانحًا ويعود دونها إن كان بارحًا،وسنعرض بعض الصور الشعرية التي كان لحركة الغراب دور بارز فيها.

وتبرز " الحركة "عنصرًا مهمًا من عناصر صورة الغراب في أشعار الجاهليين، فها هو ذا عنترة يعرف بفراق أحبابه من حركة الغراب فوق ديار محبوبته حيث يقول:

[الكامل]

ظَعَنَ الَّذينَ فَراقَهُم أَتَوَقَّعُ   وَجَرى بِبَينِهِمُ الغُرابُ الأَبقَعُ

---

(1) ابن منظور، **لسان العرب**: مادة حرك .

(2) عبد الرحمن،نصرت، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ط2 ، عمان، مكتبة الأقصى،1976 ،ص187.

حَرِقُ الجَنــاحِ كَــأَنَّ لِحيَــي رَأسِــهِ جَلَمــــانُ بِالأَخبــــارِ هَــــشٌّ مولَــــع[1]

رحلة الظعن كلّها حركة، مليئة بالانتقال والارتحال، وهذا ظاهر في هذه الأبيــات مــن خلال الفعلين، ظعن، وجرى، وعبارة، كأنّ لحيي رأسه،. فالفعل ظعن يــدلّ علــى الارتحــال و"الفعل جرى، يدل على الانتقال من مكان إلى مكان[2]"، فالفعلان يدلّان على رحيل الأحبّة الذي نتج عن وجود الغراب، وحتى يصوّر لنا الشاعر طبيعة هذا الرحيل وسرعته وأثره يتكئ علــى حركة جناحي الغراب السريعة بقوله(حرق الجناح)هذه الحركة التي تشبه حركة المخراق السريع الذي لا يُرى في يد صاحبه، ثم يلجأ إلى حركة لحيي رأسه وكأنّها حركة مقص يفرق الاشياء .

وفي أبيات أخرى يوظف عنترة حركة الغراب للتعبير عن قوته وفروسيته، فهــو قتــل جميع أعدائه وجعل ديارهم خالية، لا وجود للحياة فيها، وحركة الغربان وهي تحجل تدلّنا على خلاء هذه الديار، يقول:

[الوافر]

سَــلوا عَنّــا جُهَينَــةَ كَيــفَ باتَــت تَهــيمُ مِــنَ المَخافَــةِ فــي رُباهــا
رَأَت ظَعنـــي فَولَّـــت وَاِســـتَقَلَّت وَسُــمرُ الخَــطِّ تَعمَــلُ فــي قَفاهــا
وَمــا أَبقَيــتُ فيهــا بَعــدَ بِشــرٍ سِــوى الغِربــانِ تَحجُــلُ فــي فَلاهــا[3]

فالشاعر استخدم الفعل (تهيم) ليدلّل على أنّ جهينة ذهبــت علــى وجههــا، و"الهُيــام كالجنون"[4]، فقوم جهينة خائفون هائمون على وجوههم من عِقاب عنترة، تبرز الحركة أيضًا من خلال "الفعل حجل بمعنى نزا في مشيه دلالة على الفرح " [5]، فالغربان ترقص وتتبختر فرحــا بخلاء الديار، فحركة الغربان دلّت في الصورة على أمرين أولهما شجاعة عنترة التي وهبتهــا ديارًا خالية تقطن فيها، والثانية دلّت على خلاء هذه الديار وشتات أهلها وفراقهم عنها.

---

(1) عنترة، **الديوان**، ص94.

(2) ابن منظور، **لسان العرب**: مادة جرى.

(3) عنترة، **الديوان**، ص210.

(4) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة هيم.

(5) المصدر السابق، مادة حجل.

وها هو المهلهل بن ربيعة يتوعّد ويتهدد البكريين ويقول إنّه سيجعل الغربان تأكل أجساد قتلاهم وتحجل فوقها، فهذا أشدّ عقاب لهم، فحركة الغراب زادت من عمق الصورة وتأثيرها في النفس. حيث يقول:

[الكامل]

وَابكـــينَ مَصــــرَعَ جيـــدِهِ مُتَـــزَمِّلاً بِدِمائِــــهِ فَلَـــذاكَ مــــا أَبكـــاني[1]
فَلَــــأَترُكَنَّ بِـــهِ قَبائِـــلَ تَغلِـــبٍ قَتلـــى بِكُـــلِّ قَـــرارَةٍ وَمَكـــانِ
قَتلـــى تُعاوِرُهـــا النُســـورُ أَكُفَّهـــا يَنهَشْـــنَها وَحَواجِـــلُ الغِربـــانِ[2]

إنّ القتلى في المعارك هي غنائم الغربان وطعامها، فالشاعر يبرز فرح هذه الطيور من خلال الفعل حجل الذي يدل على الفرح والتبختر والرقص، فحركة الغراب وهو يحجل ربما تمثل المهلهل نفسه وهو فرحان للأخذ بثأره من أعدائه.و الغراب وهو يحجل كالمقيد الفرح الراقص بما أوتي من غنائم أبرزت الصورة الفنية وجلّتها.

وحذّر بعض الشعراء من حركة الغراب، لأنّها تسبّب الشؤم والخوف من المستقبل، يقول علقمة بن عبدة:

[البسيط]

وَمَـــن تَعَـــرَّضَ لِلغِربـــانِ يَزجُرُهـــا عَلـــى سَـــلامَـــتِهِ لا بُـــدَّ مَشـــؤومُ
وَكُـــلُّ حصـــنٍ وَإِن طالَـــت ســـلامته عَلـــى دَعائِمِـــهِ لا بُـــدَّ مَهـــدومُ[3]

إن الطيرة والتطيّر عادة جاهلية قائمة على الحركة، وتبرز الحركة في هذه الأبيات من خلال الفعل زجر، "فالزجر للطير التيمّن بسنوحها والتشاؤم ببروحها، وإنّما سمي الكاهن زاجرًا لأنّه إذا رأى ما يَظَنُّ أنه يُتَشاءَمُ به زجر بالنّهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صـوْتٍ

---

(1) المتزمل: المتلفف.
(2) المهلهل بين ربيعة، **الديوان**، ص84.
(3) علقمة بن عبدة: **الديوان**، ص56.

وشِدّةٍ[1] "، فهل أدّى الشاعر دوْر الكاهن؟ نعم فهو طلب عدم زجر الغراب وعدم التعرض لــه، لأنّ حركته تجلب الهم والغم والشؤم.

وكانت العرب تتشاءم من حركة الغراب إذا كان بارحا وتتفاءل بها إن كــان ســانحا، فحركته هذه بعثت الشؤم في نفس الأعشى حيث قال:

[الرمل]

ما تَعيــفُ اليَــومَ فــي الطَيــرِ الــرَّوَح   مِــن غُــرابِ البَــينِ أَو تَــيسٍ بَــرَح[2]

في البيت صورة فنيّة تشتمل على حركتين الأولى، تتمثل في الفعل تعيف مــن "عــاف يعيف فهو عائف أي يعيف الطير فيزجرها والعيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصــواتها وممرها"[3]،وقيل "الروَّح في هذا البيت أي المتفرقة، وليس بقــوىً إنّمــا هــي الرائحــة إلــى مواضعها"[4] .

والحركة الثانية تتمثل في الفعل "بَرَح أي ما مرّ من الطير من يمينــك إلــى يســارك والعرب تتشاءم به لأنّك لا يمكنك أن ترميه حتى تتحرف[5]"، فالشاعر تشاءم من حركة الطائر البارح.

ويوظّف الحارث بن عمرو الفزاري حركة الغراب وهو ينتف ريشه، ليعبّر عن إخلاصه وحبّه لسيده قبيصة، فهو لم يكن كالغراب الذي يجلب الهم والغم والشؤم والفراق، بل كان مــن أشد المخلصين لمولاه وسيده.

[الطويل]

تُــدِرُّ وَتَســتَعوي لَنــا كُــلَّ كاشِــحٍ   وَمِــن قَبلِهــا كُنّــا نُسَــمّيكَ عاصِــماً

---

(1) ابن منظور، **لسان العرب:** مادة زجر.

(2) الأعشى، **الديوان** ص273.

(3) ابن منظور، **لسان العرب:** مادة عيف.

(4) المصدر السابق: مادة روح.

(5) ابن منظور، **لسان العرب:** مادة برح.

بِحَمــدِ إِلَهــي أَنَّنــي لَــم أَكُــن لَهُــم   غُــرابَ شَــمالٍ يَنتِــفُ الــرّيشَ حاتِمــا
كَــأَنَّ عَلَيــهِ تــاجَ آلِ مُحــرِّقٍ   بِــأَن ضُــرَّ مَــولاهُ وَأَصــبَحَ ســالِماً [1]

وتظهر الحركة واضحة في هذه الصورة من خلال استخدام الشاعر للفعل ينتف بمعنى نزع الشعر وما أشبهه[2]،فحركة الغراب وهو ينتف ريشه تجلب الهم والغم والشؤم وما يؤكد ذلك استخدام الشاعر اسم حاتم للغراب الذي يحتم بالفراق ــ كما مر معنا في التمهيد ــ فالشاعر لم يكن كذلك لمولاه بل كان مخلصًا، كما ويبرز التشبيه في هذه الصورة من خلال أداة التشبيه كأنّ، وتخدم حركة الغراب هنا الصورة البصرية.

وتؤثّر حركة الغراب في الصورة الفنية في أبيات جحيش الهمداني:

[المتقارب]

أَرى الطَيــرَ تخبرُنــي أَنَّنــي   جُحَــيشٌ وَأَنَّ أَبــي حُرشُــفُ
يَقــولُ غــرابٌ غَــدا ســانِحاً   وَشــاهِدُهُ جاهِــداً يَحلِــفُ
بِــأَنّي لِهَمــدانَ فــي غُرِّهــا   وَمــا أَنــا جــافٍ وَلا أَهيــفُ
وَلَكِنَّنــي مِــن كِــرامِ الرِجــالِ   إِذا ذُكِــرَ السَــيِّدُ الأَشــرَفُ[3]

تظهر الحركة في الأبيات السابقة من خلال كلمة "سانحًا" من الفعل سَنَحَ بمعنى ما ولّاك ميامنة، وقيل السانح ما جاء عن يمينك إلى يسارك، وكانت العرب تتفاءل بالسانح وتتشاءم بالبارح، فحركة غراب البين السانح تتناسب وغرض الشاعر من ورائها، وهي المديح والفخر بنفسه، فحركة الغراب أخبرت ناظرها برفعة شرف الشاعر وأنّه من كرام الناس، فهذا يؤكد أنّ حركته وصوته ينبئان بالمستقبل، هذا مستمد من المعتقدات الإغريقية ــ كما ورد معنا في الفصل الأول ص17 ــ فالصورة في هذه الأبيات صورة بصرية.

---

[1] السويدي، سلامة عبد الله، **شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية**، ص 313.

[2] ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**: مادة نتف.

[3] الميداني، **مجمع الأمثال**: ج1،ص334.

المبحث الثاني

أبعاد صورة الغُراب ودلالتها في الشِّعر الجاهليِّ

لا يخفى على دارس الأدب العربي، والمتتبع له – بدءًا بمراحله الأولى، ووصولا إلى العصر الحديث، أن الشعر العربي كان وما يزال، هو الوثيقة الحية الناطقة المعبرة عن كل قضايا الأمة، وخلجاتها، فإليه يعود الدارسون حين يبغون الاستزادة من فكر الأمة وتاريخها، فشعرهم وثيقة سجلت أيامهم، وحروبهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وقيمهم، وشعائرهم، ومعتقداتهم، تلك القضايا التي كانت انعكاسًا للفكر العربي في الجاهلية.

وما يزال الإعجاب يتملكنا ونحن نقرأ أشعار امرئ القيس، و طرفة، والأعشى، والنابغة، وعنترة .. الخ، فقد وعى هؤلاء - ومن غير قصد منهم - واقعهم وماضيهم، وتاريخ قبائلهم وأمتهم، وعوه بأبعاده الدينية والنفسية والاجتماعية، فها نحن نقرأ عاداتهم، وتقاليدهم، وقيمهم، ومعتقداتهم، وبعض مشاعرهم، في ثنايا قصائدهم، وتخيّر مفرداتهم.

كان الشاعر بؤرة تتجمع فيها اتجاهات عصره ومجتمعه، فعبّر عن معتقدات أمته، وجماعته الأسطورية، وهو في استخدامه الأسطورة لم يكن يستخدمها في نوع من الترف الفكري، ولم يقصد الأسطورة لذاتها، بل وظّفها للتعبير عن قضايا الأمة، والحراك الثقافي فيها، ولم يدرْ في خلده يومًا بأن يلجأ إلى الأسطورة، أو يعبر عنها كي تتوارث من جيل إلى جيل، بل كان استخدامه للأسطورة شعورًا عميقًا بالتاريخ، ورؤيا توحد وتربط بين الأزمنة والأمكنة، بين الماضي والحاضر.

ولا يعني هذا أن الشعر العربي في مجمله أساطير، غير أنه يمكننا أن نستخلص من تلك الأسطورة أبعادًا مختلفة، قد تتداخل فيما بينها وتترابط معًا، ونحن إذ نلجأ إلى تقسيم هذه الأبعاد إلى أبعاد دينية، وأخرى نفسية، وأخرى اجتماعية، إنما نلجأ إلى هذا من منطلق التيسير ومحاولة رسم تلك الأبعاد، لا بقصد وضع الحدود الفاصلة بينها، وهو ما لا يمكن تحديده.

ولهذا نرى في الشعر الجاهلي بعض آثار الحياة الاعتقادية القديمة[1]،والصورة الشعرية وما تحمله من أبعاد مختلفة، تكشف بجلاء عن الواقع الذي كان يعيشه الإنسان الجاهلي، بما يحمله من أبعاد دينية ونفسية واجتماعية.

من هنا يمكن القول " إن الصورة الشعرية تعطي النص أبعادًا داخلية متعددة لا بعدًا واحدًا، فقد نجد لأول وهلة بعدًا قريبًا، ولكن بعد التأمل المستمر نرى أنها تحمل أبعادًا خلفية أخرى، وكلما ازداد التأمل ظهرت هذه الأبعاد أكثر فأكثر، وهذه الأبعاد لا تأتي إلا إذا كانت الصورة بألفاظها وتركيبها وعاطفتها قادرة على الإيحاء بهذا البعد أو الأبعاد[2]" .

وسأحاول في هذا المبحث تحليل أبعاد صورة الغراب في الشعر الجاهلي، وتوضيح دلالاتها في السياق الذي وردت فيه، وذلك من خلال تحليلها ومن ثم توضيح ما تحمله من دلالات.

وهي كما يلي:

1. البعد الدِّينيِّ

من خلال تتبعنا صورة الغراب في أشعار الجاهليين، فإننا نجد العديد من الإشارات الأسطورية والدينية التي تبرز عنصرًا مهمًا من عناصر الصورة، ولأنّ الأساطير والخرافات تشكل جانبًا مهمًا من المعتقدات الدينية الجاهلية، فقد صارت مكونًا أساسيًا للصورة الشعرية عند شعراء الجاهلية، بحيث ترجع أكثر هذه الصور إلى أصول ميثولوجية موغلة في القدم.

إن ارتباط الغراب بالفراق والتشاؤم يعود إلى أصول دينية راسخة في فكر الشاعر الجاهلي، فكونه رمزًا للتشاؤم والقطيعة، يعود لارتباطه بالموت وكيف أنّه علّم قابيل كيف يدفن أخاه هابيل، ويرجع كونه رمزًا لما يذهب ولا يعود، في قصته مع نوح عليه السلام.

---

[1] ينظر الحسين، قصي: **أنثروبولوجية الأدب**، دراسة الآثار الأدبية على ضوء علم الإنسان، ط1، دار البحّار بيروت،2009،ص190.

[2] الشوري، مصطفى عبد الشافي :**الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ط1 ، القاهرة، الشركة العالمية .للنشر، 1996،ص85-86.

" فكلمة (غراب) أمست بفضل تاريخها الميثولوجي، قادرة على استدعاء معاني الخيانة، وانعدام الثقة، والغدر، والغربة، والموت، والتشاؤم، وكل الصفات التي يصحّ وصفها بأنّها صفات سوداء، وقد ارتبط الغراب في القرآن الكريم، بالموت والدفن والقبور"[1]. وقد ذهب الشعراء بعيدا في توظيف سواد الغراب في أشعارهم ورسم صورهم الشّعريّة الّتي وظّفت سواده، فنراهم يتحدثون عنه وكأنه علامة مميزة للتشاؤم والفراق والألم, واصفين الغراب بأوصاف عديدة كما سيظهر معنا في هذا المبحث،" أما عن الصورة الشعرية الجاهلية، فقد جاء الغراب في كثير منها حاملاً معه دلالاته السوداوية السابقة، فدخل عنصرًا أساسيًا في صورة الرحيل والغربة"[2].

ومن ذلك ما يُروى عن وفد حجيج "عكّ " من أنّهم "إذا خرجوا حجّاجًا قدّموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم، فكانا أمام ركبهم فيقولان:

نحن غرابا عكّ

عكّ إليك عانية، عبادك اليمانية

كيما نحجّ الثانية ! "[3]

"وفي هذا الطقس وجوه شبه كثيرة من طقس يوناني سنوي، يُقام للإله أبّولو في أيونيا وأثينا، يقصد به التطهّر،إذ كان يختار رجلان دميمان ويلبسان عقودًا من التين المجفف، وفي نهاية الاحتفال يُطردان من المدينة ويُطلق عليهما اسم " الفارما كوي" بمعنى العاملين عمل العقار، إذ يُعتقد أنّهما قد حملا النحس من المدينة إلى خارجها. فهل كان"غرابا عكّ" يعملان عمل العقار؟ وإلا فلِما كانا ينبهان على نفسيهما بالصياح، لافتين أنظار الأرواح الشريرة إليهما، بدلًا

---

(1) محمد علي: إبراهيم: **اللون في الشعر الجاهلي**. ص180.

(2) المرجع السابق، ص180.

(3) ابن الكلبي، **الأصنام**، ص 7.

عن القبيلة؟[1] وإنّ العبدين الأسودين يتوحّدان مع الغراب في إجراء هذا الطقس الديني حيث حملا أو حُمّلا آثام القبيلة وخطاياها، فمن المرجّح أنّهما يُذبحان ذبحًا قربانيًا، أو يطردان من القبيلة بعد هذا الطقس، بصفتهم حاملين لخطايا القبيلة ولعنة الإله[2].فالعبدان في هذه الترنيمة الجاهلية شُبها بالغراب وسواده لذلك أُطلق على هذين العبدين اسم غرابا عكّ.

إن ارتباط الغراب بفكرة الفراق والتشاؤم يعود إلى أصول دينية راسخة في فكر الشاعر الجاهلي، فكونه رمزًا للتشاؤم والقطيعة يعود لارتباطه بالموت والدفن والقبور، وذلك مستَمدّ من قصة قابيل وهابيل، وكان رمزًا لما يذهب ولا يعود في قصة نوح عليه السلام ــ كما مرّ سابقًا ص21 ــ وهذه إشارات ميثولوجية عبّر عنها الشعراء في أشعارهم.

يقول عنترة:

[الكامل]

إن كُنتِ أَزمَعتِ الفِراقَ فَإِنَّما ... زُمَّت رِكابُكُمُ بِلَيلٍ مُظلِمِ
ما راعَني إِلّا حَمولَةُ أَهلِها ... وَسطَ الدِيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمخِمِ
فيها اِثنَتانِ وَأَربَعونَ حَلوبَةً ... سوداً كَخافِيَةِ الغُرابِ الأَسحَمِ[3]

يأتي ذكر الغراب الأسحم بتاريخه الطويل في التشاؤم، وعدم الثقة، وفي الذهاب الذي ليس بعده إياب، فعنترة لا يثق بعودة عبلة بعد رحيلها على النوق (الغربان)، في الليل المظلم (الأسود)، فقد لا تعود كما لم يعد غراب أوتنابشتم(نوح)، الذي أخذ يأكل جيفة وجدها، فحطت عليه لعنة نوح، فتغير ريشه إلى اللون الأسود، وهو رمزٌ للخيانة وذلك عائد لما فعله الغراب بالديك ــ كما مر معنا سابقًا في الفصل الأول (ص 28-29)ــ.

---

[1] ينظر:البطل،علي:**الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري**،ط1 دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،1980، ص51.

[2] ينظر: محمد علي، إبراهيم: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص194.

[3] عنترة، **الديوان**، ص154.

ويوظّف الشعراء في أشعارهم موضوع الفراق الذي ارتبط بأصول دينية، لأنّ الغـــراب يرمز للذهاب دون إياب، وإلى الدمار والخراب بعد الاستقرار، يقول الحطيئة:

[الكامل]

ذَهَــــبَ الَّـــــذينَ فِـــــراقَهُم أَتَوَقّــــعُ وَجَـــرى بِبَيـــنِهِمُ الغُـــرابُ الأَبقَـــعُ [1]

يقدّم لنا الشاعر صورة حزينة لفراق أحبابه الذين ذهبوا وارتحلوا عن ديارهم، فرحيلهم هذا لن يكون بعده رجوع، فلماذا وظّف الشاعر هذا الطائر في التعبير عن صورة الفراق؟،أنـــا أرى أنّ الشاعر استخدم هذا الطائر في صورته الشعرية لارتباطه بجذور دينية قديمة تدلّ على الفراق والذهاب دون إياب.

ومن الشعراء الذين وظّفوا هذا الطابع الديني النابغة حيث يقول:

[الكامل]

زَعَـــمَ الغـــراب أَنَّ رِحلَتَنـــا غَـــداً وَبِــــذاكَ خَبَّرَنـــا الغُـــدافُ الأَســـوَدُ [2]

استخدم الشاعر الفعل زعَمَ بمعنى شَهِدَ[3]، فالغراب كان شاهدًا على موعد الرحيل، كما كان شاهدًا على واقعة قتل قابيل لأخيه هابيل، واستخدّم الشاعر الفعل خبّرَنا الغــراب الأســود، ليؤكّد على أنّ لعنة الغراب تكمن في سواده، وكأنّ هذه اللعنة التي حطت على الغراب فســوّدت لونه، مازالت تنتقل منه إلى الناس[4]، فنجد كثيرًا من الشعراء يجعلون الغراب رمزًا للفراق، كما يجعلونه رمزًا لما يذهب ولا يعود، هذا كلّه راجع إلى قصته مع نوح عليه السلام.

ومن أدوار الغراب في القصص الدينية،أنّه دلّ عبد المطلب على مكان بئر زمزم تروي لنا القصة أنّ عبد المطلب سمع في الليل هاتفا ينادي فيقول:

---

(1) الحطيئة، **الديوان**، ص90.

(2) النابغة الذبياني: **ديوانه**: ص38.

(3) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة زعم.

(4) يُنظر: محمد علي، إبراهيم:**اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص180.

يـــا أيهـــا المـــدلج احـــــفر زمـــزم   إنـــــك إن حفرتهـــا لــــــم تـــــــندم
وهـــي تـــراث مـــن أبيــك الأعظــم   تســـقي الحجـــيج حـــافلاً لـــم يـــنقم[1]

فلما سمعه عبد المطلب قال:وأين موضع زمزم ؟ فقيل له: عند قرية النمل حيث ينقــر الغراب الأعصم. مرت ــ القصة كاملة(ص27) ــ " إنّ هذا المقطع من قصة حفر بئر زمــزم قبل الإسلام جاء ليبيّن وظيفة الغراب الأعصم وأنه أشبه بالكاهن، فهو الدليل والمعلّم إنه محمَّل برسالة من وراء حجب الغيب كُلِّفَ عبد المطلب بمقتضاها حفر بئر زمزم "[2].

ومعظم شعراء الجاهلية يتشاءمون من الغراب ولونه وصوته، وجاء هذا التشاؤم لأنّــه ارتبط بالموت والدفن والقبور، يقول علقة بن عبدة الفحل.

[البسيط]

وَمَـــن تَعَـــرَّضَ لِلغِربـــانِ يَزجُرُهـــا   عَلـــى سَـــلامَتِهِ لا بُـــدَّ مَشـــؤومُ
وَكُـــلُّ حصْـــنٍ وَإِن طالَـــت سـلامَتُهُ   عَلـــى دَعائِمِـــهِ لا بُـــدَّ مَهـــدومُ[3]

نحن أمام صورتين شعريتين،الأولى صورة نشاهد فيها أنسانًا يطارد الغربان ويزجرها خوفًا منها، لكنّه لا بدّ واقع في ما يخاف، وسيصاب بالشؤم لا محالة، والثانية صورة الحصــن المنيع الذي سيحلّ به الخراب في يوم من الأيام،أليس الغراب وما يرمز إليه قاسما مشتركًا بين الصورتين؟، نعم لأنّ هذا الطائر رمز للخراب والدمار والخلاء، والشاعر يؤكّـد أنّ الحصــن المنيع سيحلّ به الخراب والدمار، فالغراب في الصورتين جالب للشؤم والخراب،وهو الذي بشّر بخراب الحصن في الصورة الثانية، وهل التشاؤم من هذا الطائر له جذور دينية من خلال دوره في قصة قابيل وهابيل؟ نعم فهو رسول من الله ليعلّم قبيل كيف يدفن أخاه.

التصقت بالغراب صفة الخيانة منذ أقدم العصور فها هو أمية بن أبي الصلت يصوّر هذه الخيانة في الأبيات الآتية:

---

(1) عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها**، ج1، ص 326.
(2) المصدر السابق، ص326.
(3) علقمة بن عبدة، **الديوان**، ص56.

[الطويل]

وَمَرهَنَـــةٌ عِنـــدَ الغُـــرابِ حَبيبَـــهُ فَأَوفَيـــتُ مَرهونـــاً وَخَلَفـــاً مُســـابِيا
أَدَلَّ عَلَـــيَّ الـــديكُ إِنّـــي كَمـــا تَـــرى فَأَقبِـــل عَلـــى شَـــأني وَهـــاكَ رِدائِيـــا
أَمِنتُـــكَ لا تَلبَـــث مِـــن الـــدَهرِ ســـاعَةً وَلا نِصـــفَها حَتّـــى تَـــؤوبَ مَآبِيـــا
فَـــرَدَّ الغُـــرابُ وَالـــرِداءُ يَحـــوزَهُ إِلـــى الـــديكِ وَعـــداً كاذِبـــاً وَأَمانِيـــا
فَلا تَبتَـئِس إِنّـي مَـعَ الصُـبحِ بـاكِرٌ أُوافـي غَـداً نَحـوَ الحَجـيجِ الغَوادِيـا
فَلَمّا أَضـاءَ الصُـبحُ طَـرَّبَ صَـرخَةً أَلا يـا غُـرابُ هَـل سَـمِعتَ نِـدائِيا
وَأَمَّ الغُـــرابُ يَضـــرِبُ الأَرضَ كُلَّهـــا عَتيقاً وَأَضـحى الـديكُ فـي القِـدِ عانِيـا
فَـــذَلِكَ مِمـــا أَســـهَبَ الخَمـــرُ لُبَّـــهُ وَنـــادَمُ نِـــدماناً مِـــنَ الطَيـــرِ غاوِيـــا
وَمـــا ذاكَ إِلاّ الـــديكُ شـــارِبُ خَمـــرَةٍ نَـــديمُ غُـــرابٍ لا يَمَـــلُّ الحَوانِيـــا[1]

نحن أما مشهد مسرحيّ، بطله الغراب وضحيّته الديك، فالغراب كان نديمًا للديك يشربان الخمر في حانة، فطلب الغراب من الديك أن يعيره جناحيه ليأتي بالمال ليدفع لصاحب الحانـة، فأخذ الغراب الجناحين، وطار بعيدًا ولم يعُد، وهكذا تجددت الخيانة التي التصقت بهذا الطائر منذ أقدم العصور،فلا تقف الصورة الواردة في الأبيات السابقة عند حدود خيانة الغراب للديك، وإنما ترتبط بجذور دينية قديمة، مثل خيانته لأبلّو الذي أرسله ليبحث عن الماء ولم يعد ــ مرّ سـابقًا (ص17) ــ، وخيانته لنوح عليه السلام.

ويستعمل الشعراء عادةً أكل الغراب أجساد القتلى ويوظفونها في رسم صورهم الشعرية، فهـذا المهلهل حين أراد أن يتوعد أعداءه، يرسم صورةً مخيفةً لقتلاهم فيقول:

[الكامل]

وَابكـــينَ مَصـــرَعَ جيـــدِهِ مُتَـــزَمِّلاً بِدِمائِـــهِ فَلَـــذاكَ مـــا أَبكـــاني
فَلَـــأَترُكَنَّ بِـــهِ قَبائِـــلَ تَغلِـــبٍ قَتلـــى بِكُـــلِّ قَـــرارَةٍ وَمَكـــانِ

(1) أمية بن أبي الصلت، **الديوان**، ص89–90.

قَتلـــى تُعاوِرَهـــا النُســـورُ أَكُفَّهـــا   يَنهَشْـــــنَها وَحَواجِـــــلُ الغُربـــــانِ[1]

لا تقف الصورة السابقة عن حدود جثث القتلى ونهش الغربان لها، وإنّما ترتبط بجذور دينية قديمة، وذلك حين يضيف المهلهل للنسور صورة الغربان، وما تحمله هذه الصــورة مــن إشارات دينية قديمة تعود إلى الغراب وهو يأكل الجيف في قصة الطوفان، وكما كان أكل الجيفة تهديدًا للبشرية في قصة الطوفان، كان أكل الغربان تهديدًا للأعداء كلهم.

وكان الشعراء يتنبأون بقرب الفراق إذا رأوْا غرابًا أو سمعوا صــوته ومــن هــؤلاء الشعراء عنترة العبسي حيث يقول:

[الوافر]

أُســـائِلُ عَـــــن فَتـــاةِ بَنـــي قُـــرادٍ   وَعَـــــن أَترابِهـــا ذاتِ الجَـــــمالِ
وَكَيـــــفَ يُجيبُنـــــي رَســـمٌ مُحيـــلٌ   بَعيـــدٌ لا يَـــرُدُّ عَلـــــى سُؤالــــي
إِذا صـــاحَ الغُـــرابُ بِـــهِ شَـجـانــي   وَأَجـرى أَدمُـعي مِـثـلَ اللَآلـــي
وَأَخبَرَنــــــي بِأَصـــــنافِ الرَزايـــــا   وَبِالهِـــجرانِ مِـــن بَعـدِ الوِصـــالِ[2]

يصوّر الشاعر لنا مشهدًا لطلل محبوبته وديارها الخالية، فهو واقف يتأمل هذه الــديار ومشاعره حزينة وحالته يرثى لها، كأنّه كاهن يتواصل مع الغراب الذي يزوّده بأخبار الغيــب، وأنّه سيخبره عن الرزايا والفراق، وحال الشاعر شبيه بحال كهنة الإغريق وعــرّافيهم، الــذين كانوا يستدلون على المستقبل من حركات هذا الطائر وصوته، فهذا بعد ميثيولوجي مقدس ومعتقد قديم أبرزته هذه الصورة الفنية.

وقد بيّنت الأمثلة السابقة، أنّ علاقة الشاعر الجاهلي بالغراب، قامت في معظمها علــى أساس ديني خرافي أسطوري ، حيث أتى في أشعاره ما يدلّل بوضوح على تلك العلاقة الراسخة في موروثه العقائدي.

---

(1) المهلهل بين ربيعة، **الديوان**، ص84.

(2) عنترة: **الديوان**، ص130.

2. البعد النفسي

الشعر من الشعور، والشعر خالدٌ بمقدار ما يستطيع أن يعبر عن حقائق الكون في قوالب وصور جميلة، ولا يكون الشاعر شاعرًا إلّا إذا عبّر عن حالة نفسية فردية كانت أم جماعية، فالشاعر في تجاربه الشعرية وفيما تجود به قريحته من فن القصيد يصدر عن أبعاد نفسية.

وتنبع قيمة الشعر في مقدرته على التعبير عن الحالة الشعورية والنفسية للشاعر، بما تحمله من دلالات متناقضة من شؤم وتفاؤل، ومن خير وشر، ومن ألم وأمل، إلى غير ذلك من معان مختلفة أخرى، وترك الغراب كغيره من مظاهر الطبيعة تأثيرات عديدة في حياة الإنسان الجاهلي،وبخاصة تلك التي انعكست على حالته النفسية والشعورية، إذ بدا الشاعر الجاهلي ضعيفًا أمام تلك التأثيرات، لا يملك إلا الاستسلام لها أو التماشي معها، من هنا كان الغراب مصدرًا لكثير من المعاني السلبية في نفسية الشاعر الجاهلي، وذلك من خلال ما كانوا يرونه من وجهة نظرهم و يحسونه في داخلهم، وما كان يجسده في نفسيتهم وفي حالتهم الشعورية وأمزجتهم.

وأدّى الغراب دورًا بارزًا في التعبير عن الحالة النفسية للشاعر الجاهلي، فرؤيته وصوته وحركته أثرت في هذه النفسية، بما يحمله من دلالات تشاؤمية.

وكان عنترة من الشعراء الجاهليين الذين كان لون الغراب الأسود سببًا في شقاء نفسه وحزنها،لأنّ لون عنترة لون غرابي أسود، وفي هذا يقول:

[الكامل]

يا عَبلَ كَم يُشجى فُؤادي بِالنَوى وَيُروعُني صَوتُ الغُرابِ الأَسوَدِ[1]

هذه الصورة لم يصنعها الشاعر إلّا ليتحدّث عن مشاعره وهو يتوقّع فراق محبوبته، وهي صورة مشحونة بألوان المشاعر. فالشاعر حين سمع خبر الفراق امتلأ قلبه بهاجس مخيف

---

[1] عنترة: الديوان، ص62.

كريه، فصوت الغراب ولّد عند الشاعر حالة نفسية ملؤها الخوف والألم، ونستدلّ على ذلك من خلال الفعل يروّعني أي يفزعني[1].

ويقول عنترة في موضوع آخر:

[الوافر]

غُــــرابَ البَــينِ مــا لَــكَ كُــلَّ يَــومٍ تُعانِـــدُني وَقَـــد أَشـــغَلتَ بـــالي

كَأَنّـــي قَـــد ذَبَحـــتُ بِحَـــدِّ سَـــيفي فِراخَـــكَ أَو قَنَصـــتُكَ بِالـــحِبالِ[2]

فالشاعر في هذه اللوحة يقف أمام غراب البين، ويعاتبه على ما أنزل به من المصائب، و ما أثاره في نفسه من الهموم.ويبدو عنترة في هذه الأبيات شديد الأسى واليأس إذ يشعر أنّ هذا الغراب قد أصبح عدوًا له، يعانده و يفسد عليه ملذاته في هذه الحياة، وهو يستنكر هذا الموقف من الغراب الذي لم يؤذه قط، فهو لم يصطد هذا الغراب أو يسبّب الأذى لأفراخه. ويقول في موضع آخر: **[الرجز]**

يــا عَبــلَ كَــم تَنعَــقُ غِربــانُ الفَــلا قَد مَــلَّ قَلبــي فــي الــدُّجى سَــماعَها[3]

فهذه الصورة التي رسمها الشاعر للغربان وهي تنعق في الصحراء وقت الدُّجى، سببت الملل والضجر لنفس الشاعر، فمحبوبته تركته في وحشة الصحراء الخالية، و أصوات الغربان تحيط به من كل جانب، مما جعل نفسية الشاعر مليئة بالسأم والألم.

وتشاءم النابغة بالغراب الأسود حيث قرنه بالرحيل والبعد والنوى يقول:

[الكامل]

زَعَـــمَ الغـــراب أَنَّ رِحلَتَنـــا غَـــداً وَبِـــذاكَ خَبَّرَنـــا الغُـــدافُ الأَســـوَدُ [4]

---

(1) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة روع.

(2) عنترة: **الديوان**، ص130.

(3) المصدر السابق، ص 91.

(4) النابغة الذبياني: **الديوان**: ص38.

والشؤم واضح في هذا البيت حيث استفتح الشاعر بذكر البوارح، وهي الطيور التي تطير عن يمين المرء وقد تشاءم العرب بها، وختمه بذكر الغراب الذي كان نذير البين والفراق، ولذا فقد ركّز الشاعر على لونه الأسود ليزيد من دلالته على الشؤم.

ومن الصور التي جعلت من حالة الشاعر النفسية مليئة بالتشاؤم ما يعبر عنه علقة ابن عبدة الفحل في البيت الآتي:

[البسيط]

وَمَن تَعَرَّضَ لِلغِربانِ يَزجُرُها   عَلى سَلامَتِهِ لا بُدَّ مَشؤومُ(1)

فالشاعر يرسم لنا صورة من يزجر الغربان أنّه سيصاب بالشؤم لا محالة، فيؤكّد في اللوحة الماضية أنّ زجر الغربان يجلب الشؤم والهم والغم للنفس، فالغراب نذير شؤم وخراب.

وفي الموضوع نفسه يقول الأعشى:

[الرمل]

ما تَعيفُ اليَومَ في الطَيرِ الرَوَّح   مِن غُرابِ البَينِ أَو تَيسٍ بَرَح(2)

فالشاعر في اللوحة السابقة متشائم من الغراب ومن عيافة الطير، فالحالة النفسية للشاعر تغيرت نتيجة لرؤية هذا الطائر.

ويستخدم المهلهل بن ربيعة أسلوبًا خاصًا لإخافة الأعداء، وجعْل حالتهم النفسية مليئة بالرهبة من عقابه حيث يقول:

[الكامل]

وَابكينَ مَصرَعَ جيدِهِ مُتَزَمِّلاً   بِدِمائِهِ فَلَذاكَ ما أَبكاني
فَلَأَترُكَنَّ بِهِ قَبائِلَ تَغلِبٍ   قَتلى بِكُلِّ قَرارَةٍ وَمَكانِ

---

(1) علقمة بن عبدة الفحل، **الديوان**، ص56.

(2) الأعشى، **الديوان**، ص273.

قَتلـــى تُعاوِرَهـــا النُســـورُ أَكُفَّهـــا   يَنهَشـــنَها وَحَواجِـــلُ الغِربـــانِ[1]

استخدم الشاعر أسلوب خلخلة صفوف الأعداء عن طريق إخافتهم، فيتوعـد البكـريين بعقاب عظيم، يتمثل في ترك الغربان تأكل من أجساد قتلاهم، إنّ صورة الغربان مـع النسـور وهي تأكل أجساد القتلى في المعارك، صورة تبعث الخوف في النفس.

وهناك من الشعراء من أصيبت نفسه بالخوف نتيجة لرؤية الغراب، وفي ذلـك يقـول صخر الغي:

[الطويل]

يُرَوَّعُ مِـن صَـوتِ الغُـرابِ فَيَنتِحـي   مَسامَ الصُـخورِ فَهُـوَ أَهـرَبُ هـارِبِ[2]

سمع الشاعر صوت الغراب فأصابه الفزع والخوف، فلشدة فزعه هرب والتجـأ إلـى الفتحات الموجودة داخل الصخور، فحالة الشاعر النفسية مليئة بالفزع والخوف، وذلـك بسـبب رؤيته لهذا الطائر وسماع صوته.

وفي الأبيات التالية يصور لنا الأعشى خوفه من الغراب أن يشتت شمله مع محبوبتـه فيقول:

[مجزوء الكامل]

وَاعلَـم بِـأَنّي لَـم أُكَـلّ   ـمِ مِـثلَـها بِصِعابِـها
إِنّـي أَخـافُ الصُـرمَ مِنـ   ـها أَو شَـحيجَ غُرابِهـا
فَـدَخَلتُ إِذ نـامَ الـرقيـْ   ـبُ فَبِـتُّ دونَ ثِيابِهـا[3]

يصوّر لنا الشاعر جمال محبوبته، وأنّه لم يكلم مثلها قط، فهو معجب بجمالها لكنّه خائف من القطيعة والفراق، ومن صوت الغراب خاصّة،فحالة الشاعر النفسية مليئة بالسـعادة وقلبـه

---

[1] المهلهل بين ربيعة، **الديوان**، ص84.
[2] الهذليون،**الديوان**، القسم الثاني،ص53 .
[3] الأعشى، **الديوان**، ص253.

مليء بالحب والعشق،أمّا إذا سمع شحيج الغراب فستتحوّل حالته النفسية من الحب والإعجاب بجمال هذه الفتاة إلى الخوف من الفراق والقطيعة والسبب بلا شكّ صوت الغراب.

ولم يكن سبب اضطراب حالة الشاعر النفسية هو الخوف من رؤية الغراب، أو من سماع صوته، فهناك من الشعراء من كان يخاف من الغراب ويظل قلقًا مضطرب النفس، خوفًا على إبله إذا كان في سنامها دبرة، فيقع الغراب عليها فيأكل منها، وليس البشر وحدهم هم من يمتلكون الشعور النفسي، بل إن الحيوانات تمتلك تلك الحالة النفسية والشعورية، من هنا نجح بعض الشعراء الجاهليين في رسم صورة نفسية واضحة وعميقة من خلال الغراب، لحيواناتهم، على نحو ما نرى في قول لبيد بن ربيعة العامري:

[الطويل]

أَصبَحتُ أَمشي بَعدَ سَلمى بنِ مالِكٍ ... وَبَعدَ أَبي قَيسٍ وَعُروَةَ كَالأَجَبْ

يَضِجُّ إِذا ظِلُّ الغُرابِ دَنا لَهُ ... حِذاراً عَلى باقي السَناسِنِ وَالعَصَبْ[1]

نحن أمام صورة فنية حيّة رائعة الجمال، فالشاعر يصوّر نفسه بعد فراق أحبابه، كالبعير الذي في ظهره دبرة والذي يخاف من ظل الغراب إذا اقترب منه، فتصبح مِشية هذا البعير مِشية ملؤها الخوف والرهبة، حالته النفسية يحيط بها الخوف من كل جانب، فهناك تشابه بين حالة الشاعر النفسية وحالة البعير، فكلاهما مضطرب النفس، فالشاعر هائم على وجهه في الأرض نتيجة لفراقه أحبابه، والبعير خائف من الغراب يأتي ويأكل دبرته، فهو خائف على باقي ظهره من هذا الطائر فنراه يمشي خائف جزع.

من خلال تتبعنا البعد النفسي في صورة الغراب في أشعار الجاهليين يتضح لنا، أن اقتران الحالة النفسية التي يمر بها الشاعر الجاهلي بصورة الغراب، نتج عنها العديد من الاضطرابات والدلالات والأبعاد النفسية، أهمها التشاؤم والحزن والخوف.

---

[1] لبيد بن ربيعة، **الديوان**، ص28.

3. البعد الاجتماعي

حفل الشعر الجاهلي بالعديد من المؤشّرات الاجتماعية، ومن ذلك مثلا نجد أنّ البياض في البشرة يمثّل لون السادة والأشراف بينما يمثل اللون الأسود الغرابي لون العبيد والخدم،فأدّى هذا إلى انتشار الطبقية،وخصوصًا عند الشعراء السود الذين أُطلق عليهم اسم أغربة العرب للونهم الأسود الذي يرمز للدونية والعبودية،"فهؤلاء الشعراء كانوا لا يحسنون الدبيب إلى القصور ولا يتقنون التسرّب إلى الطبقة العليا في المجتمع"[1]،لكنّهم حاولوا الدخول في مجتمعهم والعيش فيه وإثبات فروسيتهم وشجاعتهم، فأدّى الغراب عند الشاعر الجاهلي دوْرًا في إبراز بعض الأبعاد الاجتماعية.

وفي ذلك يقول عنترة:

[المتقارب]

فَإن تَكُ أُمّي غُرابيَّةً   مِنَ اْبناءِ حامٍ بِها عِبتَني
فَإنّي لَطيفٌ بِبيضِ الظُبى   وَسُمرِ العَوالي إِذا جِئتَني[2]

فعنترة رغم سواده وسواد أمه، فهو شاعر فارس مغوار يقود الجيش في المعارك، فالشاعر استخدم لون الغراب للتعبير عن الدونية التي كان يعايره بها قومه وغيرهم، فلون الغراب أدّى دوْرًا في التعبير عن انحطاط الطبقة التي ينتمي لها أغربة العرب، وذلك بسبب أمهاتهم اللواتي ورّثنهم هذا اللون، فنظرة المجتمع للأم السوداء نظرة ملؤها الاحتقار والدونية، وهذا انعكس على أبنائهم.

واستخدم الشاعر الغراب لسواده والشؤم منه بالإضافة إلى صفة أكْل الجيف،وبقية دلالاته السوْداوية، في حشْد كل هذه الطاقات لتهديد الأعداء والأخذ بالثأر منهم، حيث إنّه سينزل بالبكريين أشدّ العذاب، لدرجة أنّ الغراب والنسور ستنهش جثث قتلاهم حيث يقول المهلهل:

---

[1] بدوي، عبده: **الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي**،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1988، ص4.
[2] عنترة، **الديوان**،ص201.

[الكامل]

وَابكـــينَ مَصـــرَعَ جيـــدِهِ مُتَـــزَمِّلاً بِدِمائِـــــهِ فَلَـــذاكَ مـــــا أَبكـــاني
فَلَــــأَترُكَنَّ بِـــهِ قَبائِـــلَ تَغلِـــبٍ قَتلـــى بِكُـــلِّ قَـــرارَةٍ وَمَكـــانِ
قَتلـــى تُعاوِرُهـــا النُســـورُ أَكُفَّهـــا يَنهَشْـــنَها وَحَواجِـــلُ الغُربـــانِ[1]

فعقيدة طلب الثأر من الركائز الأساسية للبعد الاجتماعي،التي طالما شغلت بال الإنسان الجاهلي عامة والشاعر الجاهلي خاصة، وها هي صفية الشيبانية تطلب الثأر من منصور وأعوانه لاعتدائه على قبيلتها، وخيانته للعرب ــ وردت القصة في الفصل الثاني (ص48) ــ. تقول صفية:

[البسيط]

قُـــولا لمنصـــور لا دَرّت خلائفـــهُ ما صاحَ فـيهم غُـرابُ البـينِ أو نَعَقَـا
يا ويـحَ أمّـك يـا مَنْصـورُ إنّ لنـا خَيلاً كِراماً تصونُ الجـارَ مـا عَلِقَـا[2]

فالشاعرة هنا تطلب الثأر والانتقام من منصور، وكان لها ما أرادت في النهاية.

ومن الركائز الأساسية للبعد الاجتماعي، الفخر بالقبيلة، فكثير من شعراء الجاهلية افتخروا بنسب قبائلهم، وافتخروا بأنفسهم كذلك، ومن هؤلاء الشعراء جُحيش الهمداني الذي افتخر بنفسه وبوالده حيث يقول:

[المتقارب]

مالِـــــكَ أُمٌّ فَتُـــــدعى لَهـــــا وَلا أَنـــــتَ ذو والِـــــدٍ يُعـــــرفُ
أَرى الطَيـــر تخبِرُنـــي أَنَّنـــي جُحَـــيشٌ وَأَنَّ أَبـــي حُرشُـــفُ
يَقـــولُ غـــرابٌ غَـــدا ســـانِحاً وَشـــاهِدُهُ جاهِـــداً يَحلِـــفُ

[1] المهلهل بين ربيعة، **الديوان**، ص84.

[2] بشير، يموت: **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، ص 12-13.

بِـــــأَنّي لِهَمَـــــدانَ فــــي غُرِّهـــــا وَمــــــا أَنـــــا جـــــافٍ وَلا أَهيــــــفُ

وَلَكِنَّنــــــي مِــــــن كِـــــرامِ الرِجـــــالِ إِذا ذُكِــــــرَ السَــــــيِّدُ الأَشــــــرَفُ[1]

نحن أمام صورة تعبّر عن فخر الشاعر بنسبه، حيث جاء هذا الفخر على لسان الغراب السانح، فالشاعر يقول حتى الغراب الذي يجلب الأخبار السيئة يعرف رفعة نسبي ومكانة قومي، وسبب اختيار الغراب السانح لأنّ العرب تتفاءل بحركته عكس البارح، فهذا الغراب لم يخبر بالفراق والشتات، بل أخبر برفعة نسب هذا الشاعر،فشاعرنا استخدم الغراب السانح وما يحمله من دلالات للتعبير عن هذا الفخر.

وإنّ الفخر بالقبيلة والفخر بالنفس من الإشارات الاجتماعية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، مثّلها مثل الشجاعة والفروسية،فكان الشعراء يفتخرون بشجاعتهم وفروسيتهم،لأنها صفة ترفع من شأن الفرد في المجتمع الجاهلي وفي ذلك يقول عنترة:

[الوافر]

سَــــلوا عَنّــــا جُهَينَــــةَ كَيــــفَ باتَــــت تَهــــيمُ مِــــنَ المَخافَــــةِ فــــي رُباهــــا

رَأَت طَعنــــــي فَوَلَّــــــت وَاســــــتَقَلَّت وَسُــــمرُ الخَــــطِّ تَعمَــــلُ فــــي قَفاهــــا

وَمــــا أَبقَيــــتُ فيهــــا بَعــــدَ بِشــــرٍ سِــــوى الغِربــــانِ تَحجُــــلُ فــــي فَلاهــــا[2]

فالشاعر يفتخر بفروسيته، حيث جعل الديار خالية من أهلها لأنّه قتل كل من فيها، فالغراب دلّ في هذه الصورة على شجاعة عنترة وقوّته في قتل الأعداء وطردهم من ديارهم، من خلال الإشارة إلى خلوّ الديار وحجل الغربان فيها.

كما ويفتخر عبيد بن الأبرص بقتل قومه لحجر والد امرئ القيس فيقول:

[الوافر]

أَتوعِــــدُ أُســــرَتي وَتَرَكــــتَ حُجــــراً يُريــــغُ سَــــوادَ عَينَيــــهِ الغُــــرابُ[3]

---

[1] الميداني، **مجمع الأمثال**،ج1، ص334.

[2] عنترة، **الديوان**، ص210.

[3] عبيد بن الأبرص، **الديوان**، ص 26.

إنّ الشاعر يصوّر لنا الملك حجرًا وهو مقتول والغربان تأكل من عينيه، هــذه صــورة مليئة بالحقد والكراهية من جهة، والفخر بالقبيلة التي قتلت هذا الملك من جهة أخــرى، فأكــل الغربان لأجساد القتلى أو نقر عيونها يُعتبر أشدّ عقاب للقتيل وأهله، فالشاعر استخدم الغراب في هذه الصورة لغرضين: الأول التعبير عن الفخر والمباهاة بفروسيته وقوة قبيلته القادرة على قتل الملوك،وليس قتلها وحسب، بل وترك الغربان تأكل من أجسادها، فهذا شيء يستحقّ الفخــر،لأنّ الملك يحظى بقيمة اجتماعية مرتفعة في المجتمعات الجاهلية وغيرها من المجتمعات. والثــاني التعبير عن مدى الحقد الذي تحمله قبيلته على هذا الملك وابنه.

"فالزجر والعيافة عادة مُسَخَّرة لفروسية عامر بن الطفيل وإظهار بأسه،فخيله إذا غزت قومًا كان الفوز نصيرًا لها، وكأنّ الغربان طارت بهزيمة الأعداء وقتْلهم،إذ حل النحس بينهم" [(1)] كقوله:

[الوافر]

إذا يَمَّـــــــنَ خَـــــيلاً مُســـــرِعاتٍ جَـــرى بِنُحـــوسِ طَيـــرِهُمُ الغُـــرابُ[(2)]

فالشاعر يصف قوة فرسه وما تحدثه من نحس في صفوف الأعداء، كما يصوّر الغربان وهي تجلب النحس والشؤم لهؤلاء الأعداء، فالبعد الموجود في هذه الصورة فخر الشاعر بفرسه، مع اتّكاء الصورة على صفات الغراب المشؤوم، الذي يجلب النحس.

ومن الإشارات الاجتماعية التي تبدو في الشعر الجاهلي ظاهرة الطيرة،التــي كانــت طقسًا، وعادة اجتماعية تُمارس بشكل يومي، فكثير من الشعراء ذكروا هذ العادة في أشــعارهم، حيث أدّى الغراب فيها الدور الأبرز، لأنّه من الطيور التي كانت تستخدم في هذا الطقس.

ويمكن للهجاء أن يكون ظاهرة من الظواهر الاجتماعية، إذا كان الهدف منه الحطّ مــن قيمة المهجو الاجتماعية، فحسّان بن ثابت هجا الحارث بن هشام بن المغيرة في البيت التالي:

---

(1) جمعة،حسين: **الحيوان في الشعر الجاهلي**،ص162 .

(2) عامر بن الطفيل، **الديوان**، ص21.

[الكامل]

فأَجمَعتُ أَنَّـكَ أَنـتَ أَلأَمُ مَـن مَشـى   فـي فُحـشِ مومِسَـةٍ وَزَوْكِ غُـرابِ[1]

يصورّ الشاعر هشام بن المغيرة بأبشع الصور،فيصفه بمومس فاجرة لا قيمة لها، والدونية ملازمة لها، كما ويصورّه بغراب يمشي مِشية قبيحة، فالشاعر استخدم الغراب في التعبير عن كرهه وهجائه لهذا الرجل، لأنّ الغراب يحمل صفات كريهة.

ومن الصورّ التي يكون الهدف منها الهجاء والتي كان للغراب دور فيها ما قاله لبيد:

[الرجز]

يـا ضَـمرَ يـا عَبـدَ بَنـي كِـلابِ
يـا أَيـرَ كَلـبٍ عَلِـقٍ بِبـابِ
تَمكو[2]اِسـتَهُ مِـن حَـذَرِ الغُـرابِ[3]

نحن أمام صورة غرضها الهجاء، فالشاعر يهجو ضمرة بن جابر، ويصوره بكلب يحمي إسته ويصيح خوفًا من أن يقع الغراب على دبرة في إسته يأكل منها.

وهكذا، تتنوع أبعاد صورة الغراب تبعا لرؤية الشاعر، لأن " أي تشكيل للصورة عند أي شاعر يرتد دائما إلى حركة داخلية منظمة هي رؤيا الشاعر الخاصة نحو الكون والحياة"[4]، من هنا جاءت أبعاد صورته عميقة الدلالات غنية بالإيحاءات، كما أن اقترانها بالعناصر الأخرى أكسبها أبعادًا ودلالات رمزية، وجعلها أوقع في النفوس وأشد أثرًا على المتلقي.

---

[1] حسّان بن ثابت، **الديوان**، ص38.

[2] تمكو: تصيح من شدة الخوف.

[3] لبيد بن ربيعة العامري، **الديوان**، ص58.

[4] الرباعي، عبدا لقادر :**الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى**، ط1 ، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، 1984،ص205.

الخاتمة

وبعد، فإنّ هذه الرحلة مع الغراب ــ على الرغم من صعوبتها ــ استطاعت أن تكشف الغطاء عن أمور هامّة حول طائر من الطيور التي كان لها حضورها المتميز في فكر الإنسان القديم،لا سيما الجاهلي، حيث كان له دورٌ في عقائدهم، لأنّه ارتبط بجذور دينية قديمة، جعلت منه طائرًا كريهًا، مشئومًا عند الشعراء الجاهليين.

وهكذا، وبعد استعراضنا لمادة البحث واستقرائنا لأشعار الجاهليين، لا بد لنا من الوقوف على بعض النتائج التي خلص إليها هذا البحث، وأهمها:

1- احتلّ الغراب مكانة مقدسة عند معظم الأمم القديمة بداية بالسومريين،وانتهاء بشعوب أوروبا، فالسومريون قدّسوا هذا الطائر لأنّه مساعد للإله في عملية الخلق،وكذلك الإغريق والرومان.

2- أدى هذا الطائر دورًا دينيًا، حيث ذُكر في الكتاب المقدس تسع مرات العهد القديم، كما كان المعلم الذي علّم قابيل كيف يدفن أخاه هابيل كما ورد في سورة المائدة، وكان له دور في عملية الموت والبعث،كما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام التي وردت في سورة البقرة.

3- أدّى هذا الطائر دورًا مهمًا في التنبؤ بالحوادث وبخاصة عند الإغريق، وأخذ العرب هذه العقيدة منهم فكانوا يتنبأون بالحوادث عن طريق حركاته، فيمكننا القول إنّ هذا الطائر كان عرّافًا أو كاهنًا يدل الناس على المستقبل.

4- كان الغراب طائرًا مشؤومًا كريها خبيثًا عند العرب، حيث لم يرد أنّ عربيًا أحبّ هذا الطائر، بل كرهه وكره رؤيته.

5- كان هذا الطائر من أهم الطيور التي دخلت في باب الطيرة، والزجر والعيافة.

6-كل الشرائع والديانات، والوثنية منها، حرّمت أكل لحم هذا الطائر، وعدّت أكل لحمه عارًا، حيث يعايرُ الناسُ من يأكل لحمه.

7- كان واضحًا ارتباط هذا الطائر بأغراض شعرية كثيرة ، والفراق، والهجاء،واستخدمه بعض الشعراء للتعبير عن فروسيتهم وشجاعتهم.

8- كان عنترة، أكثر الشعراء الذين وظّفوا الغراب في أشعارهم، حيث استخدمه للتعبيــر عــن الفراق والتشاؤم.

9- لم يكن الغراب مجرد عنصر من عناصر الطبيعة، بل غدا عنصرًا له فاعليته في تحديــد الأبعاد المختلفة لصورته في الحياة الجاهلية، إذ عكس شعر الجاهليين الذي تحــدث عــن الغراب أبعادًا مختلفة، كالبعد الديني والنفسي والاجتماعي، مما كان له أكبر الأثر في جعل الشعر الجاهلي سجلا حافلا يكشف عن مكنونات الحياة الجاهلية.

10- عكس الغراب ــ في تجربة الشاعر الجاهلي ــ الألوان التي تتلون بها نفســية الشــاعر ورؤيته الذاتية،فعكس حالات نفسية موجودة داخل الشاعر، كالتشــاؤم والحــزن والبكــاء والخوف، فكانت صورة الغراب خير ممثل لما يجول في خلدات النفس.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس،العهد القديم، دار الكاتب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، (د،ت) .

الآلوسي، محمود شكري:

بلوغ الأَرب في معرفة أحوال العرب، شرحه يوسف إبراهيم سلّوم، ط1، بيروت المكتبة العصرية، 2009.

روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، بيروت، إدارة الطباعة المنبرية،(د،ط)،(د،ت).

الأصفهاني،أبو الفرج: **الأغاني**، بيروت، دار الفكر للجميع،1970،(د.ط) .

الأصمعي،أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك: **الأصمعيات**، تحقيق أحمد محمد شاكر،عبد السلام هارون، ط5، بيروت لبنان، د.ت.

الأعشى، ميمون بن قيس، **ديوانه**، شرح محمد محمد حسين، بيروت، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، د.ت.

الأعلم الشنتمري، **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر ،(د.ط) ،(د.ت).

امرؤ القيس، **الديوان**:شرح عبد الرحمن المصطاوي،ط2، بيروت،دار المعرفة، 2004.

أمية بن أبي الصلت، **ديوانه**، قدّم وعلّق على حواشيه، سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، بيروت، مكتبة دار الحياة، د.ت.

الباش، حسن؛ والسهيلي، محمد توفيق: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**،ط1، دار الجيل، بيروت.د.ت .

بتيان، غرات قره: **موسوعة الحيوان/ الطيور**، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم، 1998 .

بدوي، عبده: **الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي**،القاهرة، الهيئة المصـــرية العامـــة للكتاب،1988.

البطل،علي:**الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري**،ط1 دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،1980.

جرّان العود النمري، **الديوان**، رواية أبي سعيد السكري،ط1، القاهرة، دار الكتـــب المصـــرية، 1931.

جمعة، حسين:**الحيوان فـــي الشـــعر الجـــاهلي**،ط2،دمشـــق،دار مؤسســـة رســـلان للطباعـــة والنشر،2010 .

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، **التمام في تفسير أشعار هذيل**، مما أغفله أبو سعيد السكري، حقّقـــه وقدّمه،أحمد ناجي القيسي وآخرون، وراجعه، مصطفى جواد،ط1، بغداد، مطبعة العاني، 1962.

الحاج حسن، حسين، **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998،(د،ط).

حسان بنت ثابت، **الديوان**، شرح محمد عزت نصر الله، بيروت، تاريخ إحياء التراث العربـــي، د. ط، د. ت.

الحسين،قصي:**أنثروبولوجية الأدب**، دراسة الآثار الأدبية على ضوء علـــم الإنســـان، ط1،دار البحّار، بيروت،2009.

الحطيئة، **الديوان**، اعتنى به وشرحه،حمدي وطمّاس،ط2، بيروت، دار المعرفة، 2005.

خليف، يوسف: **دراسات في الأدب الجاهلي**، دار غريب للطباعة النشر والتوزيع،القاهرة، 1981،(د،ط).

أبو ديب، كمال :**جدلية الخفاء والتجلي**، ط3، بيروت، دار العلم للملايين،1982 .

الربـاعي، عبد القادر:

الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى، ط1 ، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر،1984 .

الطير في الشعر الجاهلي،ط1،بيروت،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998.

ربيعة بن مقروم الضبّي،**الديوان**، جمع وتحقيق، تماضر عبد القادر فيّاض حرفوش،ط1، بيروت، دار صادر،1999.

الزبيدي، مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط1، القاهرة، المطبعة الخيرية، 1306هـ .

زهير بن أبي سُلمى، **الديوان**، تحقيق فخر الدين قباوة، ط3، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980.

الزواوي، خالد محمد، **الصورة الفنية عند النابغة الذبياني**،ط1، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، 1992.

الزوزني، أبو عبد الله الحسين: **شرح المعلقات السبع**، ط4، دمشق، دار الحكمة، 1980.

زيد الخيل الطائي، **الديوان**، جمْع ودراسة وتحقيق، صنعة الدكتور أحمد مختار البرزة، ط1، بيروت،دار المأمون للتراث، 1988.

السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى**، دراسة في الأسطورة، ط2، بيروت، دار الكلمة للنشر، 1981.

السويدي، سلامة عبد الله، **شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية**، جمْع وتحقيق ودراسة، ط1، قطر، مطبوعات جامعة قطر، 1987.

الشمّاخ بن ضرار الغطفاني، **الديوان**، شرحه أحمد بن الأمين الشنقيطي، مصر، مطبعة دار السعادة، 1327هـ.

الشوّاف، قاسم: **ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور**،ط1، بيروت، دار الساقي، 1996.

الشوري، مصطفى عبد الشافي :**الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ط1 ، القاهرة، الشركة العالمية . للنشر،1996 .

صالح، عبد العزيز، **الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق**، ط4، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، 1984.

الطبري، محمد بن جرير:**جامع البيان في تفسير القرآن**، ط2، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1972.

عامر بن الطفيل، **الديوان**، بيروت، دار صادر، 1979،(د،ط) .

عبد الرحمن، إبراهيم :**الشعر الجاهلي**، قضاياه الفنية والموضوعية، ط1 ، بيروت، دار النهضة، العربية، 1980.

عبد الرحمن،نصرت، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ط2 ، عمان، مكتبة الأقصى،1976 .

عبد الله بن الزبعرى، **الديوان**، تحقيق يحيى الجبوري، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1987.

عبيد بن الأبرص،**الديوان** ، شرح أشرف أحمد عدرة، ط1،بيروت، دار الكتاب العربي، 1994.

عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ط1،بيــروت، دار الفــارابي، 1994.

عدي بن زيد العبّادي: **الديوان**، تحقيق: محمد جبّار المعيبد: بغــداد: دار الجمهوريـــة للنشــر والطبع، 1965،(د،ط).

عصفور،جابر :**الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، ط1 ، القاهرة، دار الثقافة1974 .

علقمة بن عبدة، **ديوانه**، شرحه:سعيد نسيب مكارم، ط1، بيروت، دار صادر1996.

العلي إبراهيم، **صحيح السيرة النبوية**، ط1،عمان، دار النفائس،1995.

علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، قراءة ميثولوجية**،، ط1، طــرابلس الشرق، جروس برس 2001.

عمر، أحمد مختار: **اللغة واللون**،ط2، القاهرة، عالم الكتب، 1997.

عنترة: **ديوانه**: شرح الخطيب التبريزي:قدّم له ووضع هوامشه وفهارســه مجيــد طــراد، ط1 بيروت، دار الفكر العربي، 1992.

العنتيل، فوزي: **الفولكلور ما هو؟،دراسات في التراث الشعبي** ، ط1، القــاهرة، دار المعــارف بمصر، 1965 .

فريزر،جيمس:**الفولكلور في العهد القديم**، ترجمة نبيلــة إبــراهيم، مراجعــة حســن ظاظــا، القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974،(د،ط) .

فهد، توفيق: **الكهانة العربية قبل الإسلام**،ترجمة حسن عودة، رندة بعث، ط1، بيروت، قــدمس للنشر والتوزيع 2007.

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**،تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 2005.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري:**الجامع لأحكام القرآن**،ط3، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1967.

القلقشندي،أبو العباس أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر،(د،ط)،(د،ت).

القيسي، نوري حمودي: **دراسات في الشعر الجاهلي**، ط،1بغداد، مطبعة الإرشاد، 1972.

الكسائي، محمد بن عبد الله: **قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**،طبعة ايزنبرغ بريل، ليدن، 1922.

كعب بن زهير، **الديوان**،صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه، حنا نصر الحتي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي،1994.

الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، **الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، ط3، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1995.

لبيد بن ربيعة، **الديوان**، شرح، الطوسي، قدم له ووضع هوامشه حنا نصر الحتي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1993.

ابن المبارك، محمد:**منتهى الطلب من أشعار العرب**،ط1، تحقيق وشرح، محمد نبيل الطريفي،بيروت،دار صادر،1999 .

المرقّشان:المرقش الأكبر، عمرو بن سعد،والمرقش الأصغر عمرو بن حَرمَلة: **الديوان**، تحقيق كارين صادر، ط1، دار صادر، بيروت،1998.

مستجاب، محمد، **نبش الغراب المجموعة الثانية**، ط1، وزارة الإعلام، الكويت، 2006.

مسكين،حسن،**الخطاب الشعري الجاهلي**، رؤية جديدة، ط1،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.

المفضّل الضبّي: **المفضليات**،تحقيق وشرح،أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون، ط6، القاهرة دار المعارف، 1942.

المقدسي، عزّ الدين بن عبد السلام بن غانم ، **كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار**، حقّقه وعلّق عليه علاء عبد الوهاب محمد، القاهرة، دار الفضيلة،(د،ط)،(د،ت) .

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط1، بيروت، دار صادر، 1968.

المهلهل بين ربيعة، **الديوان**، شرح طلال حرب، بيروت، الدار العالمية، 1993،(د،ط) .

الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري، **مجمع الأمثال**، حقّقه محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1955،(د،ط) .

النابغة الذبياني، **الديوان**، حقّقه واعتنى به حمدو وطمّاس، ط2، بيروت، دار المعرفة، 2005 .

ناصف، مصطفى :**الصورة الأدبية**، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.

النجّار، زغلول:،**من آيات الإعجاز العلمي، الحيوانات في القرآن الكريم**،ط1، بيروت دار المعرفة، 2006 .

نصر، عاطف جودة :**الخيال مفهوماته ووظائفه**، ط1 ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

النوتي، زكريا عبد المجيد، **الذئب في الأدب القديم**، ط1، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004 .

هُدْبة بن الخشرم، **شعره**، جمع وتحقيق :يحيى الجبوري، ط2، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع،1986.

الهذليون، **الديوان** (نسخة مصوّرة عن دار الكتب المصرية)، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر،1965.

يموت، بشير، **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**،ط1،بيروت، المطبعة الوطنية، 1934

الدوريات

الديك، إحسان: **أسطورة النسر والبحث عن الخلود في الشعر الجاهلي**، مجلة الدراسات، الجامعة الأردنية،2010، مجلد 37.

زغريت، خالد، **تجليّات ميثولوجيا الغراب في القصة النسوية** ، مجلة الرافد الإماراتية تصدر عن حكومة الشارقة، العدد 1512، لندن.

منصور، أنيس:**لأسباب اختار نوح الغراب**، **الشرق الأوسط**، جريدة العرب الدولية، لندن، عدد11168، 2009.

الرسائل الجامعية

اشتية، فؤاد يوسف إسماعيل: **القمر في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف إحسان الديك،جامعة النجاح الوطنية، 2010.

عبد الله، سناء أحمد سليم، **توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2004.

أبو عون، أمل محمود عبد القادر،**اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، شعراء المعلّقات نموذجًا**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، 2003

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Crow in Pre-Islamic Poetry

By
Ali Abdel Aziz Ali Abu Snaineh

Supervised by
Prof. Ihsan Al-Deek

This thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Arabic Language and Literature, Faculty of Graduate Studies An-Najah National University, Nablus, Palestine.
2012

Crow in Pre-Islamic Poetry
By
Ali Abdel Aziz Ali Abu Snaineh
Supervised by
Professor Ihsan Al-Deik

Abstract

This study addresses the issue of crow in pre-Islamic poetry where its importance lies in the fact that it reveals the aspects of pre-Islamic intellect which is considered part of the ancient man's intellect. The research is divided into an introduction, a preface, three chapters and a conclusion.

In the introduction the researcher talked about the reasons behind choosing the subject of this study and its purpose. In the preface, the researcher mentioned the names of the crow, the reason for each name, in addition to explaining some of its characteristics.

The first chapter consisted of two parts where in the first one the researcher discussed the issue of the crow in the ancient man's intellect and the interest that this bird received from the Sumerians, Babylonians, the Semites, the Chinese, the Greek and the Romanian. Those people had considered this bird as sacred and looked at it as the assistant of God in creation and the predictor of storms that tells the coming of rain. The Jewish considered it a dirty bird. In the second part the researcher presented the issue of the crow in ancient Arab intellect where the Arabs view of the crow was pessimistic and dark.

In the second chapter the researcher addressed the mentioning of the crow in the pre-Islamic poetry and divided it into four parts in the first of which he talked about the crow and separation; he considered it a symbol of separation among most of pre-Islamic poets. In the second part he discussed the relationship between the crow and concepts like being pessimistic, tracking and superstition because it was among the most important birds to be related to this area. In the third part the researcher discussed one of the characteristics of the crow which is the fact that it is a scavenger. Some poets have employed this feature in their poetry, while in the last part the researcher talked about the mentioning of the crow in subjects such as satire, color, gray hair and others.

In the third chapter the researcher addressed the image of the crow in pre-Islamic poetry in two parts in the first of which the researcher talked about the crow and its role in forming the elements of the art image in pre-Islamic poetry, in addition to discussing the element of color, sound, and movement. In the second part the researcher talked about the crow in pre-Islamic poetry with respect to the religious, social and psychological dimensions. The image of the crow had a major role in impacting the psychology of the pre-Islamic poet.

The researcher concluded the study with a conclusion in which he presented the most prominent results.